سَبقَها إليه

مجموعة قصصية

نهلة عبد السلام

الدار
للنشر والتوزيع

2016

اسم العمل سبقها إليه

النوع مجموعة قصصية

الكاتب نهلة عبد السلام

تصميم الغلاف

إخراج داخلي محمد علي إبراهيم

الطباعة اتيليه تاتش – المحروسة

الناشر الدار للنشر والتوزيع

المدير العام محمد صلاح مراد

تليفون 01125800467

البريد الإلكتروني eddar_press@yahoo.com

فيس بوك www.facebook.com/eldarpublish

رقم الإيداع

الترقيم الدولي

الدار للنشر والتوزيع

2016

إهداء

وتبقى بنات حواء مانحات للسعادة مهما أستقبلن من ألم.. لكن ولمن يهمكن.

مقدمة

إلتقيا.. إفترقا.. فى أول المشوار.. منتصفه.. اخره.. وما بين البداية والنهاية سطور أبدًا لم تكن لتتشابه.. فلكل ظروفه وملابساته.. وبرغم الريش المقصوص والجناح المكسور.. إلا إننا مازلنا قادرات على التحليق.. فوق أكوام الرماد.. تلك التى خلفتها حرائق الهزائم والخيبات.. على الطيران.. إلى أرض جديدة.. محرم على الخوف أن يطأها.. على اليأس أن يسكنها.. فقط الطمأنينة والأمل.

لكل من ضاقت عليها الأرض بما رحبت.. فى السماء متسع لكل الحالمات.. الطموحات.. المتألقات.. فهذا ما يليق بالنجمات.

لكل من صادف وألتقيتها.. ربما تشبهك أحداهن.

لا أصدق من الكواليس ولا أوضح رؤية من المقاعد الخلفية..

فدائماً ما كان الأقرب للعين.. الأبعد عن الخاطر

أصلان و صورة

مع دقات التاسعة أخذت الحركة تدب فى المكان، الكل يتبادل التحية يتناول قهوته الصباحية.

أجرت ميرا التعديلات المطلوبة على التصميمات، حاولت تفادى ملاحظات عمر، كانت حريصة على إرضائه، فكلمة إطراء منه كفيلة بأن تجعل يومها سعيداً، وما أن انتهت حتى نَسَخَتْها وأسرعت إليه تدق بابَ مكتبه، جلست فى إنتظار أن ينتهى من مكالمته.

- طمنينى عليها عامله إيه دلوقتى؟
- .....
- لما تصحى مالنوم قوليلها لو بتحبنى تاخد الدوا وتبطل شقاوة كمان يوم واحد بس.
- .....
- لو احتاجتوا أى حاجة أتصلوا على تليفون السكرتاريه وهما هيبلغونى، أسف هضطر أقفل موبايلى شويه.
- .....
- سلام

بدت علامات الإرهاق واضحة على وجهه لذا بادرته بالسؤال

- هى زينه تعبانه؟
- اه.. رجعت يوم الخميس من المدرسة سخنه، رحنا للدكتور قال لوزها ملتهبة، وهى بتكره الدوا وعلشان تاخده لازم نعمل فيها أراجوزات.
- طيب وحرارتها؟
- نزلت كتير، بس بقالنا تلات أيام مقضيانها ورادى شويه أنا وشويه ماما وفضلت تغيب لحد ما نطمن عليها.
- إن شاء الله تبقى كويسة.. عدلت التصميمات تمام زى ما قولت بس برضه حطيت"التاتش" بتاعى.
- "أوكيه" قدامنا نص ساعة نلحق نبص عليهم قبل ما يبدأ الـــ""meeting.

لمحت ميرا نظرة رضا وهو يتصفح الأوراق، فلطالما كانت قادرة على قراءة عينيه، تذكر يوم ألتحقت بالعمل معه منذ خمس سنوات، فبرغم مرحه وبشاشة وجهه كان الحزن يسكن عينيه لا يغادرهما أبدًا وكأنما أصبح لا مأوى له إلا فيهما.

أنجذبت إليه ربما لأنه يشبهها إلا إنها كانت تفوقه قدرة على مداراة أحزانها، أختارت قلبها لتودعه إياها، إنه المكان الأكثر أماناً فما من أحد قادر على كشف سر القلوب إلا خالقها.

رحلت والدتها وهى فى الخامسة من عمرها أثر حادث سيارة، أصطحبها والدها لبيت جدتها تركها وذهب، باتت جزءاً من ماضى بالنسبة له إما المستقبل فملكه وحده، كون أسرته الجديدة وأكتفى بزيارتها من حين لآخر، يهديها لعبة أو فستان ثم يختفى، تعد على أصابع يدها الواحدة مرات إحتضانه لها.. إحساسها بدفئه، دائماً ما كانت تجلس على مقربة منه، تتمنى لو قفزت إلى حضنه تحتمى به.. ولكنه لم يدعها ومنعها كبريائها أن تتطفل عليه، ألتمست له الأعذار فربما الرجال لا يعوون الفارق بين دار الأب ودار الإيواء، حضنه وحضن كل من سواه، ففى غياب الوالدين يضحى الكل غرباء، حتى وإن توددوا إليك تحسبه نوعاً من التعاطف الإحسان وأضف ما شئت من مسميات.

وألتقت عمر، مرضت زوجته بعد أن أهدته زينه، رافقها رحلة معاناتها، ساندها.. خفف عنها ولكنها رحلت تاركة له سحابة حزن دعت الله أن يرزقها عارضاً يمطرها فتتكشف.

أكتفى بإبنته وبات لا يشغله سوى هى وعمله، لم تستطع طرد صورته مع زينه فى حفل زفاف أحد زملائهم بالعمل وهى تقبع فى حجره بأريحية، يداعبها فتضحك، يناولها ما شاءت من حلوى غير أبه لقميصه الناصع البياض، بدا الوضع مألوف لهما أما هى فلا.

أحبت عمر.. أحبت دعمه لزوجته ثم وفاءه لها.. تمسكه بإبنته وحنانه الذى يغمرها به، ستنتظره حتى وإن لم يكن يشعر بما تكنه له، ستنتظره حتى وإن جازفت بمستقبلها كله، ستنتظر صورة تمحو بها اصلين طالما آلاماها... صورة تجمع ثلاثتهم.

فى المساء هاتفته لتطمئن على زينة أو عليه أو ربما على نفسها، أجابتها والدته بصوت واهن.

- ألو
- ألو.. مساء الخير يا طنط.. أسفه لإزعاجك بس حبيت أطمن على زينة
- أزيك يا ميرا.. إزعاج إيه أنا صاحيه وقاعده لوحدى بس مرهقه من اليومين اللى فاتوا شويه.. والحمد لله زينة بقت أحسن كتير بس أصرت متنامش غير فى حضن بباها وأنتى عارفه عمر ميقدرش على زعلها

- ربنا يخليهم لبعض
- ويخليكى حبيبتى.. شكراً على سؤالك.. بس أبقى أسالى عليا ولا زينه بس اللى شغلاكم كلكم
- لا إزاى.. دأنا من حظى إنى سمعت صوتك النهارده، ولو زينه بقت كويسه وظروف حضرتك تسمح نخرج سوا اخر الأسبوع فيه فيلم حلو أوى ممكن نشوفه مع بعض ومناسب كمان لزينه
- ياريت.. وعموما على موبايلات.. لسه معاكى رقمى ولا راح منك
- وأنا أقدر برضه.. طبعاً معايا

لم تكن تخطط لدعوة والدته للخروج أو حتى تعرف فيلماً جيداً بدور العرض ليشاهدوه، ولكن هكذا صارت الأمور وعليها أن تتدبر كل شئ لتجعله يوماً مميزاً، أجرت بحثاً عن السينمات ومواعيد الحفلات، وأخيراً وبعد محاورات مع زينه وقع إختيارها على فيلم (Animation 3D) حفلة الخامسة مساءاً، يمكنهم تناول الغداء قبله وسيتاح لها من الوقت بعد نهاية الفيلم ما يسمح بشراء هدية للصغيرة.

سبق وأن خرجت مع والدته مع بداية تعارفها به، وبما إنها أضحت مساعدته والتى ألفها بأسرع مما يتصور فقد طلب منها إصطحابها لشراء ملابس سهرة إذ كانوا مدعوين لعرس إحدى أقاربهم، بعدها هاتفتها وأثنت على ذوقها الرفيع فى إنتقاء موديل حاز إعجاب الجميع، شكرت مجهودها فى البحث معها طوال النهار حتى تشترى لها ما ينال رضاها دون كلل أو ملل، بادلتها الشكر بشكر على صحبتها التى أسعدتها فهى بمثابة والدتها وداعبتها قائلة "الرك مش عالموديل الرك عاللى يلبسه"، تمنت لو كررتها ولكن لم تسنح الظروف، دراسة الصغيرة وكذا ظروفها الصحية الغير مستقرة، ولكن يبدو أن المياه الراكدة حان لها أن تتحرك كاشفة عن حياة جديدة تخفيها تحت سطحها الساكن.

ألتقتهما يوم الجمعة، مرت عليهم وأصطحبتهم بسيارتها، بدت بسيطة كعادتها فى خروجاتها الصباحية بدون مساحيق تجميل.. شعر مجموع للخلف.. ملابس فضفاضة فاتحة اللون، مظهر يعكس طبيعتها الطفولية والتى تأبى أن تتخلى عنها.

- ميرا.. احنا هنشوف الفيلم دلوقتى

- لا حبيبتى.. لسه أدامنا ساعتين لحد ما يبدأ.. يعنى ممكن نتغدى الأول.. تحبى تأكلى إيه؟
- أنا بحب البيتزا بس تيته مش أوى يعنى
- لا النهارده أوى خالص.. الخروجه بتاعتك المرادى.. وزى ما اختارتى الفيلم مع ميرا هتختارى برضه الغدا وهأعترض عالبيتزا فى حالة واحدة بس
- إيه هى يا تيته
- إن ميرا تكون مش بتحبها

باتت زينة تحتضن عروستها الجديدة، تقاسمت معها وحدتها فهونتها، أيقظها عمر بقبلة على جبينها.

- حبيبة بابا مش هتصحى بقى علشان تفطر معاه
- بابا ممكن تطلب من تيته تقلى البيض مش تسلقه
- ليه مأنتى بتحبيه مسلوق وبتعملى بيه مهرجان وأنتى بتدغدغى وتقشرى
- اه بس أصل جنى بتحبه مقلى
- جنى مين؟
- أختى اللى ميرا جابتهالى إمبارح، قعدنا سوا بالليل نحكى وعرفنا عن بعض كل حاجة.. وأتواعدنا نفضل

مع بعض على طول.. أصلها هى كمان كانت ديما لوحدها

- وهى على كده بقى هتروح المدرسة معاكى؟
- لا طبعاً يا بابا.. هى لسه صغيرة يعنى مش ينفع تروح المدرسة

ما أن دخل عمر على والدته أثناء إعدادها لطعام الإفطار حتى لمحت ما طرأ من تغيير على قسماته، وبينما كانت تهم بوضع غلاية البيض على النار حتى بدأها الحديث

- ماما لا.. سيبى البيض أنا هأقليه
- بس زينه بتحبه مسلوق
- وجنى بتحبه مقلى
- يعنى مش بس هنمشى على مزاج زينه دحنا كمان هنشوف مزاج ست جنى
- واضح أنى اخر شخص يتعرف على جنى فى البيت.. ما علينا.. ماما
- نعم
- فى سؤال محيرنى؟
- دا باينه محيرك أوى.. أسأل يمكن أجاوبك وأريحك

- مش الطبيعى إن زينة تعتبر جنى بنتها مش أختها؟
- مهو الطبيعى برضه إنها ما كانتش تتحرم من أمها قبل حتى ما توعى لشكلها.. يا ابنى مهما أنا وأنت أهتمينا ودلعنا مش هنقدر نملى الفراغ اللى جواها.. بنتك حاسه بالوحدة.. محتاجه ونس.. أخت تلعب معاها مش بنت تلعب بيها
- ياريت كان بإيدى أى حاجة كنت عملتها
- الحاجة فى إيدك.. بس خوفك الزايد على زينه واللى مالوش أى مبرر هو اللى مخليك مش قادر تعمل.. مش قادر تخلقلها حياة جديدة.. حياة عادية.. طبيعية
- ماما أنتى قصدك....

إلتفتى كما شئتى للخلف..

ولكن ثِقى أن العقارب لا تغير إتجاه دورانها

أكثر من وعاء

- مدام سحر.. مدام سحر
- اه.. نعم
- دور حضرتك.. أتفضلى

بالكاد كانت تبتلع ريقها وهى فى إنتظار حكم الطبيب، هذا الذى سيحدد مآلها لنعيم مقيم أو لجحيم لا رحمة فيه، صامت هو يحرك هذا الشئ على بطنها جيئة وذهاب، لا تفهم شئ مما يظهر على الشاشة، مرت الدقائق ثقيلة.. أثقل مما تحمله من هموم، هم أن يحرك شفتيه بالكلام فخُيل لها ان قلبها توقف للحظة ولكنه سرعان ما عاد للخفقان.. فى إنتظار المزيد من كؤوس العذابات يرشفها واحداً تلو الآخر.

- الميه كويسه.. حجمه معقول.. بيتنطط ولا البهلوان.. كله تمام الحمد لله.
- هو نوعه إيه يا دكتور؟
- مش باين
- ليه مش المفروض يبان فى الخامس
- مش ديما.. لكن إحتمال تكون بنوته بس ده مش أكيد

- لا الله يرضى عليك.. إحتمال ولا أكيد؟
- يا مدام "السونار" علشان نطمن على نمو الجنين وصحته مش نشوفه بنت ولا ولد.. هو احنا هنبدله.. أرضى بنعمة ربنا

يلومنى الطبيب "أرضى بنعمة ربنا"، ويلومنى زوجى "مش عارفه تجيبيلى حتة واد"، ويلومنى الناس"تاخدى راجل ليه ست وعيال"، أصبح اللوم أسلوب حياة، فقط أنت مذنب وتستحق العقاب دون النظر لظروف أو ملابسات.. حدثت نفسها وهى فى الطريق لجارتها.

- معلش يا إيمان أتاخرت عليكى.. العيادة كانت زحمة شوية
- ولا يهمك حبيبتى ده أنا بتونس بالبنات
- دا تلاقيهم صدعوكى
- ياريت كل الصداع كده.. دا البيت مبتدبش فيه الروح إلا وهما عندى.. عسل ما شاء الله عليهم
- طيب يا ستى أخد بقى العسل اللى علشانه صابره عالقرص
- ضحى.. تقى.. حضن كبير أوى قبل ما تمشوا

لم تكن الحياة لتدللها فتمنحها إختيارات، فما عرفت لأسرتها الكبيرة من عائل سوى أخيها الأكبر، يعمل ليل نهار ليوفر أبسط الإحتياجات لذا كان إتمام تعليمها فى حكم المحال، رغم ذلك عملت فى إحدى محال الملابس النسائية فلربما يتغير الحال، طمأنتها بشاشة صاحب العمل ولين معاملته، رأت فيه صورة الأب الذى تفتقده ولكنه رأى فيها غير ذلك.

- طول عمرك رزقك واسع يا بت
- لا ما هو باين يا أخويا
- لا والله.. دأنتى أمك دعيالك.. الحاج سيد طلب إيدك
- طلبها يعمل بيها إيه؟
- هيعمل كتير.. هيصيغها ويريحها مالشيل والحط ويرحمها مالفرد واللم
- لا أنا عاوزه أتعبها
- وهى لسه مشبعتش تعب
- نصيبها بقى واللى ميرضاش بنصيه الهم يصيبه
- يا عينى عالحكم... إلا الأنسة كام سنة؟
- تدينى كام؟
- اديكى للى يقيمك
- تانى.. دا متجوز وعنده أربع بنات عرايس

- وماله!.. متجوز واحدة يعنى فاضله تلاته
- نعم!!
- لا مأنتى بتلاته وتلاتين.. خلصينا بقى
- دا جواز مينفعش يتأخد كده قفش.. سيبنى أفكر
- برضه حلو.. التقل صنعه وكل ما نتقل نُجبر أكتر

لم تستطع الذهاب للعمل فى اليوم التالى ، "مرفوض".. تمنت لو قالتها عالية فزلزلت بها المنزل، فلربما أسمعت آذان الجدران رأيها بعد أن أصاب الصمم كل البشر ممن حولها، ساعدها ضغط العمل على التصرف بشكل معتاد، فمع بداية موسم التنزيلات لا وقت لأخذ أو رد، فقط عندما حانت ساعة الغداء لم ينصرف الحاج كعادته ليتناول طعامه مع شلته.

- يا شباب.. الغدا عندى النهارده.. تحبوا تأكلوا إيه؟
- مادام فيها عزومة وعلى مزاجنا كمان تبقى المناسبة جامدة أوى وتستاهل.. خير يا حاج
- جرى إيه يا بت يا زينب.. هى أول مرة أعزمكم يعنى ما ياما.. مش فاكره لما كنتى جايلنا بوصه وفى ظرف سنتين بقيتى بلوظه.. يا زينب دأنا بفكر أفتح فرع مقاسات خاصة بسببك

- ياريتكم سيبتونى بوصة كان زمانى بقيت عروسه إلا كل اللى يعاين يتخض يروح ميرجعش تانى
- أنتى اللى طفسه ما سحر إدامك.. خديها قدوة.. مثل.. نموذج
- إن شاء الله بس بعد عزومة النهارده.. عاوزين رز كبسه وضانى
- مفيش فايده فيكى.. والنعمه لا تموتى منفجره.. والأكل النهارده على ذوق سحر
- وأشمعنى سحر بقى
- علشان ساكته مالصبح مسمعتلهاش حس يا ست عزة
- يعنى هو أنا اللى أتكلمت
- لا بس قالبه وشك مالصبح للزباين.. خلقك فى مناخيرك.. وأنا نبهتك قبل كده تبتسمى وتفرديها.. مش مصبرنى عليكى إلا أختك أشتغلت معايا سنين مشوفتش فى أمانتها.. نصيحة منى أنتى مكانك محل حانوتى مش فساتين فرح وسهرة
- ها يا سحر قولى هتوكلينا إيه؟
- أى حاجة
- شايفين الأدب.. مش قولتلكم قدوة.. مثل.. نموذج

كان مرحاً بطبيعته، أعتاد البنات على مزاحه.. لذا لم تغضب أحداهن يوماً من قفشاته.. وحده كان غاضباً، قضى يومه يعاملها بجفاء.. يتحاشى النظر إليها.. أنتظرت حتى واتتها فرصة للحديث معه أثناء مراجعة حسابات اليوم.

- مالك يا عادل.. زعلان منى فى حاجة؟
- مأزعل ولا أتفلق المهم الحاج صاحب المال مبسوط منك راضى عنك
- الكلام ده ميتقاليش.. عيب أنت تعرفنى كويس
- طيب وعينه اللى منزلتش من عليكى من طلعة النهار.. والغدوه اللى على مزاجك يا هانم
- قبل ما مخك يأخدك لبعيد ومالاخر كده.. الحاج طلب إيدى
- وأنا؟
- هو خد خطوة بجد.. وأنت ليك سنه بتمهد.. بين أمارة وساعتها أقدر أقول لا
- نفسى والله.. بس أنا هروح فيه فين
- يبقى كده أنا اللى هروح فى الرجلين

- أيوه طلعينى بقى خليت بيكى ومطلعتش الراجل اللى يقدر يسندك وأنتى من جواكى بتقولى بركة اللى جات منه
- لا أنا هطلعك من قلبى اللى ربنا يعلم إنك أول واحد سكنته

لم تلتقى عادل بعدها أو أياً من زميلاتها فقد أثرت أن تلزم منزلها حتى يُبت فى أمرها، بالإجماع أعتبرت أسرتها الزيجة فرصة وغنيمة، لم يعر أحد إهتمام لمخاوفها أو يلقى بال لطموحها، لذا فقد حسم أخيها الأمر بإبلاغ موافقتهم للعريس الميمون.

أهداها شبكة أثقلت معصمها وشغلت معظم أصابعها، وفى أقل من شهر أثث لها شقة شهقت أمها عند رؤيتها.

- أنا ليا طلب عندك يا حاج
- طلب قصاد طلب.. قولتى إيه؟
- مش أعرف الأول هو إيه الطلب.. مش يمكن مش اده مقدرشى عليه
- بذمتك ودينك فى واحدة تقول لخطيبها يا حاج
- اه فى دى عندك حق.. بس برضه العين متعلاش

- العين مش شايفه غيرك.. حاج دى مسمعهاش تانى.. اتفقنا
- لما توافق الأول
- على إيه؟
- أنا عاوزه فرح وزفه.. يعنى يرضيك ألبس ياما بنات الفستان الأبيض ولحد عندى وأقول بلاش.. مفيش داعى
- أحلى فستان يجيلك والفرح من عينى بس عالضيق ومن غير زفه
- من غير زفه.. ليه بقى؟.. هو أنا أقل منها؟
- لا.. أنا اللى أكبر منها.. مش قيمتى وكمان بناتى يزعلوا
- ماشى يا سيدى ماللى يزعلهم يزعلنى برضه
- سيبك بقى مالهيصه الفاضيه دى.. وعد منى تشوفى معايا العز كله طول العمر

لم تكن أكثر من وعاء، دمية جميلة تمنحه ما شاء وقتما شاء، وما هى إلا أشهر قليلة حتى أصبح الولد المنتظر محور الحياة، خمسة أشهر من الدلال حتى هل الهلال وتأكد الحاج من قدوم الفتاة، لا تدرى أى جرم أرتكبت حتى يهجرها، فما هاتفها حتى منذ حادثة "السونار"، وأخيراً ظهر فى ساعة الوضع، أستقبل

المولودة بشعور أقل ما يُوصف به الفتور ، "المرة الجايه أجيبلك الولد" قالتها عينيها دون أن تنطقها شفتيها.

تكرر الأمر بردة فعل أعنف، شحت مشاعره ونقوده أيضًا، فأضطرت لبيع بعض من قطعها الذهبية حتى خلت أصابعها إلا من دبلة شاهدة على صفقة زواجها، مع ذلك رضيت ولكن هل سيرضى هو بالمزيد من البنات؟؟.. كثيراً ما راودتها كوابيس حرمتها لذة النوم بطمأنينة، فمنذ علمت بحملها لم تمر ليلة دون أن تبلل وسادتها بدموعها، كأنما أضحى طقس يومى لا غنى عنه، ذبلت عينيها وأضحت شاحبة بإستمرار بعد أن ضلت الحمرة طريقها لوجنتيها، فقدت كثيراً من وزنها.. تأثر مظهرها وهندامها ورغم ذلك غضوا بصرهم كما سبق وأن صموا آذانهم.

قادتها قدماها لمنزل الأسرة، رمقت طفلتيها بنظرة خائفة من غد مجهول وأب أفقده عقله طول إنتظاره لصبى، كانتا مع جمع الصغار فى مكان أضيق من أن يتسع للهوهم فجلسوا يتبادلون النكات والضحكات بينما يلقين بالنرد على صفحة السلم والثعبان، حتى اللعب يتأرجح بين صعود وهبوط.. وحدها هى عالقة ما بين بين.. كسرت والدتها صمتها بالحديث.

- شكلك تعبان يا حبيبتى.. أجمدى كده.. بكره تقومى بالسلامه وكل التعب هيروح
- بكره لسه التعب هيجى

باستطاعة الجميع النسيان ولو بعد حين..

أما العاشقين بصدق فأبدًا

أكذب حتى إشعار آخر

"أنا عندى ابن هو كل حياتى... وأنا عندى قلب أنتى كل حياته" أخفت ندى دمعة كادت أن تسقط من عينيها، فلطالما لمسها حوار البطلين رغم تكرار سماعه.. "نهر الحب"، لم يكن نصيبها من هذا النهر سوى بضع قطرات، لم تكد ترتوى حتى طالها الظمأ، هذا الذى سكن روحها مبكراً فتجعدت مشاعرها قبل ملامحها.

لم يكن وحده المشهد الباعث على حزنها فمنذ حديث عمتها وهى تستميت فى مغالبة دموعها.. ولكن من غيره بإمكانه كفكفته.. تجفيف نبع أوجاعها.

- هو مالوش اخر يا مريم.. العمر بيجرى وأنتى مصره تعيشى فى إمبارح
- وهو ينفع اخرتها أبيع واحد ضحى بعمره مش بس علشانى دا علشانا كلنا
- متضحكيش على نفسك يا بنتى.. دا يا عينى عليه وعاللى زيه راحوا بلاش.. وأديكى شايفه الحال سينا زى سونيا

- لا أنا مش معاكى.. وحتى بفرض إن كلامك صح مين أولى منى يصون ولا يقدر
- العيشه غلا وأنتى وابنك محتاجين اللى يراعيكم ويشوف طلبتكم.. وتبقى عبيطة لو مستنيه الأوهام اللى فى رأسكم يتحقق حتى عشرها
- دى مش أوهام.. دى حقوق
- بلا حقوق بلا تجارة.. جايلك عريس متفصل على ظروفك.. زى مأنتى لازمك أب لإبنك هو لازمه أم لإبنه.. أتسندوا على بعض يا بنتى.. اللى بيساعدوكى النهارده إن كان أبوكى ولا أخوكى مش هيدومولك
- بس إبنى ما كانش عنده أى أب
- على رأسى يا ستى بس أهو أحسن من مفيش خالص.. فكرى بعقلك شويه.. ولا أقولك بلاش عقلك أنتى بالذات.. دحنا ياما شوفنا منه
- أكتر حاجة وجعانى إنكوا كنتوا شايفنى صداع.. علشان بس بعرف أقول لا
- متخلينى ساكته بقى.. هو قليل علينا لما نلف وراكى فى الأقسام ونحفى لحد ما نوصلك
- يعنى وهو أنا كنت بأتمسك آداب

- مادام بنت وفى القسم يبقى كله محصل بعضه.. دا أبوكى كان بيبقى هيروح فيها ومش عارف يودى وشه فين مالناس.. وهو رضى بمحمود من قليل.. شافه من طينتك
- عمتى.. محمود مفيش حد زيه وكفايه تقطيم بقى
- يا بنتى مش قصدى.. أنا بس عاوزه أطمن عليكى وعلى إبنك وهاشم حد كويس أوى وابن ناس متضيعهوش من ايدك
- غريبه أوى.. خايفين ليضيع عريس.. إنما حلم عمرنا.. عادى فى داهية
- بلا حلم بلا زفت.. دحنا فى كابوس ميعلمبوش إلا ربنا.. طب دأنا الست الكبيرة مبقيتش أأمن على نفسى.. خطف وسرقة وقتل عادى جداً.. ما هى زاطت بقى وما عادشى ليها كبير
- يعنى هو كان ليها!!
- ليها ملهاش أهو اللى جرى جرى وربنا يستر.. المهم دلوقتى يبقالك أنتى كبير.. يضلل عليكى ويحميكى.. أنتى لسه فى عز شبابك وما شاء الله بدر منور.. ريحى

قلبنا يا بنتى وأكسبى ثواب فى أبوكى اللى نفسه يطمن عليكى قبل ما يفوت الدنيا

جافاها النوم.. بدا كل شئ ضيقاً رغم إتساعه.. الحجرة.. الفراش.. وصدرها.. مجرد التفكير يعد خيانة.. ولكن إن خانها الجميع وعلى رأسهم الزمن وانشغل كل برعيته فمن لها ولإبنها.. ربما هى محقة عمتها.. أخيراً داعب النعاس أجفانها فأستسلمت.

أزاحت الستار عن ذاكرتها وقت أن أزاحته عن نافذة غرفتها، تأملت النهر... مثلها تماماً يبدو هادئ رغم ما يحمل فى أعماقه من صراعات.

أرتسمت صورته على صفحة الماء، مازالت عينيه تلمع بتلك النظرة الثائرة، غلبتها دمعتها تلك المرة، شعرت بدفئها على وجنتيها، أمتدت يده لتمسحها، رددت بصوت خافت "محمود".

أحتضن يدها وسارا يقطعان معًا كوبرى قصر النيل، بدا كما عهدته دوماً غير أن الأسدين صارا أكثر... أكثر بكثير... بكثير جداً، لم تدرى كم مر من وقت كان الصمت ثالثهما حتى قطعه سؤاله.

- ليه الدموع يا ندى؟
- خايفه
- وأنا جنبك
- جنبى دلوقتى.. لكن بكره جايز اه وجايز لا
- جايز اه.. مش أكيد
- مبقاش فيه شئ أكيد
- غريبه.. فى عز الضلمه كان جواكى نور.. كنتى مصدقه اللى كلنا مكدبينه.. شايفاه قريب.. ممكن.. واحنا شايفينه بعيد.. مستحيل.. النهارده وبعد ما طلعتى الصح إيه مخليكى تايهه.. مهزوزة
- يمكن علشان الصح مطلعش صح
- لا.. أنا بقولك صح.. بس الصبر
- لحد أمتى؟
- لحد اخر نفس
- ما يمكن طلع واحنا مش دريانين ومتهيألنا إننا لسه عايشين
- يخرب بيت اللى عمل فيكى كده.. اِسمعينى يا ندى.. أنتى تعرفينى من أمتى؟
- من يوم ما عرفت نفسى

- لا أنا بأتكلم جد
- وأنا كمان، أنا كانت علاقتى سطحية أوى بيا، مش عارفه ما كنتش عاوزه أعرفها ولا خايفه أعرفها ولا أيه بالظبط، أنت جرأتنى عليها، مرة واحدة دخلت فيها شمال أتخضت وقرت بالحقيقة على طول، أنا بقى قدرت صراحتها وبدأت أتعامل معاها وأقبلها زى ما هى بعيبها قبل ميزتها.
- طيب مأنتى أهو لسه حبيتى اللى طول عمرى أعرفها.. امال إيه كل اللخبطه دى.. وبعدين تعالى هنا.. هو أنا أغيب عنك شوية تقلب معاكى بفلسفة
- أيه هو أنت غيبت عنى!!

نظر إليها فى دهشة ثم ما لبث أن أختفى، تحررت يدها وتسلل إليها هتاف قادم من الميدان "عيش.. حرية.. عدالة إجتماعية"، أسرعت نحو الصوت.. أنضمت للجمع... هتفت وهتفت... أرتجفت... فقدت السيطرة... وأخيراً سقطت، أنتبهت لصغير يهزها يصرخ فى وجهها.

- ماما مش هروح المدرسة دى تانى، رجعينى مدرستى
- ليه إيه اللى جرى يا أحمد؟

- قابلت على وأنا جاى وقعد يتريق عليا وعلى مدرستى، بيقول أنت نقلت حكومة علشان مش بقى عندكم فلوس، يعنى مش علشان هى أقرب للبيت زى ما قولتى.. أنتى كدبتى عليا
- طيب متعيطشى.. ومتزعلشى منى أنا هأفهمك على كل حاجة
- أنا مش بعيط علشان زعلان منك.. أنا يا ماما خايف عليكى
- من إيه يا حبيبى؟
- مالنار
- نار إيه!!
- نار ربنا.. أنتى مش كدبتى يبقى هتروحى النار.. وأنا بحبك مش عاوزك تتعذبى.. ليه مقولتيش الحقيقة
- علشان محدش بيقولها.. وإن حصل وقالها.. تبقى مرة من وجهة نظره.. ومره فيها مصلحته.. ومرة اضطر ليها.. إنما بإرادته ولوجه الله نادر أوى أوى
- يعنى أنتى بتكدبى عليا فى حاجات كتير

- لا.. هو موضوع المدرسة بس وده علشان خوفت على زعلك وعارفه إنك هتتفوق وهترفع رأسى زى ما أبوك واللى زيه رفعوا راسنا كلنا
- يعنى الموضوع التانى مش هتكدبى فيه؟
- موضوع إيه؟
- اللى تيته أنعام كانت بتكلمك فيه إمبارح؟
- عرفت إزاى أنت مش كنت نايم؟
- مأنا صحيت أشرب فسمعتكم بالصدفه
- اه.. بالصدفه.. ماشى صدفك كترت أوى يا أحمد
- طيب ها.. هتعملى إيه؟
- مش عارفه
- بجد مش عارفه ولا..
- أسمع يا لمض، إمبارح راحت منى حياة كانت غالية أوى عليا، بس ربنا عوضنى بحياة أغلى.. ملت عليا دنيتى متهيألى أقدر أستغنى بيها عن أى حاجة وكل حاجة، الحياة دى أنت، كدبت عليك صحيح ومقدرش أوعدك بإنها تكون آخر كدبه بس أقدر أوعدك إن الكدب مش هيطول وقريب هيزول.

هدأ الصغير بينما عادت هى لثورتها.

الحى أبقى للحى.. والحاضر سند للحاضر..

والغائب حجته معه أو ربما عليه.

الجنة الخاوية

قادتنى قدماى إليه.. أو ربما شئ آخر، طرقته عدة مرات رغم علمى بأن لا أحد هناك، ألححت عليه فأبى، أستسلمت وأخرجت من جيبى المفتاح، هذا الذى طاله الصدأ كغيره، أدرته.. فُتح الباب، تتدلى الخيوط من كل الأركان، بالكاد أخذت طريقى، مازال كل على حاله.. أو ربما تخيلت ذلك، أستندت لأريكة بدت غريبة عن المكان بعد أن أزحت عنها الغبار، دار شريط سينمائى ليثقلنى بأحداث تتوالى وشخوص كم حاولت أن أتناساها، تمددت أثر دوار أنتابنى.

جالسة هى تهدهد طفلها " نام يا حبيبى نام وأدبح لك جوز حمام"، يغفو قليلاً ثم ما يلبث أن يرفع بصره إليها بإبتسامة ماكرة، يتملى فى وجهها، يقاوم وكأنما يهاب النوم، تغازله بنظرة حانية، يغلبه النعاس، تطبع قبلة على جبينه وتضعه فى الفراش.

تخرج مسرعة لجنتها الصغيرة" ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله" رددتها عدة مرات لتحصنها حتى من نفسها، أقترب موعد الحصاد وعلا صياح الديكة، تلهو وتنبش الأرض، يتبعها صغار

تدهس أقدامهم نبتات لم تشب بعد، نهرتهم... تعجبوا لحالها فما عهدوا منها قبل اليوم إلا الترحاب، مع ذلك ذهبوا دونما عتاب.

لم تكترث لأمرهم فما بات يشغلها سوى شئ واحد، زائرها المنتظر، طال غيابه وها هو يعود ويعود معه الكثير.. أوهكذا تأملت. بدت أكثر شباباً ونضارة، بهمة أفتقدتها منذ زمن أخذت فى إعداد ما كان يحبه، للحظة تساءلت"أمازال يحبه؟".

أنتقت الأجمل من بين الطيور، فما أدخرتها إلا من أجله، عزفت الأوانى سيمفونيتها، تزينت الطاولة بأطباق ملونة، تتوسطها زهور أختلط عبيرها برائحة الطعام، عينها حائرة ما بين الساعة والطاولة، طال صمت طفلها.. تحسست الفراش.. راجعت البصر كرتين فأنقلب إليها خاسئاً وهو حسير، خوت جنتها على عروشها.. لم تدرى كم عام أماتها الله؟

فرضت الشمس نورها على زجاج النافذة تحدت كل ما علق به، وتحدت إرادتى فأيقظتنى.. "ذهب الأحبة.. وبقت الجدران تحمل صور تحملنى على الحياة".. حدثت نفسى بينما أعيد للباب قفله الصدأ.

- طبعاً جايه من هناك.. نفسى أعرف لحد أمتى هتفضلى تعذبى روحك يا رقية
- مين قالك بعذبها.. دأنا بأرويها.. بأحيها بذكريات إمبارح مادام جبرنا ولا عاد لينا حاجة فى النهارده ولا مالين إيدنا من بكره
- أحمدى ربنا.. احنا أحسن من غيرنا كتير.. ودى سنة الحياة ماشيه عالكل
- سنة الحياة.. طول ما هما عيال ومحتاجين يبقوا قاعدين فى حضننا ومتهنين.. ينبت الريش وحبة حبة يقوى الجناح كله يطير.. يخلا العش ما يفضل غير العواجيز.. ويقضوها بيستنوا.. ويا ترى مين فيهم هيجى الأول اللقا ولا الوداع
- أنا عارف زيارة بيت أبوكى بتورينا كام يوم
- دا على أساس إن الأيام كلها حلوة.. مش وحدة فى وحدة
- والله يا رقيه أنتى ورثتى أمك.. أخترتى زيها الإنتظار.. أدمنتيه.. والله يرحمها عاشت تستنى رجوع أخوكى عبد الحميد وتحوش وتشيل ليه.. وهو يدى مواعيد ويخلف ويكدب وبرضه تضحك على روحها وتستنى.. وأنتى عارفه الباقى.. حتى الدفنه ما حضرهاش.. أصل

ظروفه مسمحتش والموضوع جه فجأة.. لا عزرائيل كان لازم يضربله تليفون الأول

- مش ذنبه.. مراته كانت هتولد.. والألمان غيرنا بقى.. مش هيقدروا ولا يفهموا عوايدنا وتقاليدنا
- متجيبيش العيب على مراته.. هى اللى لقيته بايع أهله وناسه.. غير جلده وأتجوز لا من ملته ولا من جنسيته.. واتناشر سنه لا نزل بلده ولا سأل.. دحنا يا دوب نعرف شكل ولاده مالصور
- أهو زيه زى ابنك
- ولما أنت واعيه إن ابنك زيه زى خاله.. بايع.. ما توقعيه من حساباتك وتشيلى ايدك من على خدك وتعيشى حياتك
- أعيش حياتى!! طيب ما أدهم هو كل حياتى.. هو أنا طلعت إلا بيه
- أشفيها يارب.. مش راجع.. مش راجع.. أغنيهالك.. ولعلمك أنا مش دافع أقساط تانى.. مهو مادام كل واحد بقى يقول يالا نفسى يبقى أعمل حاجة لاخرتى تنفعنى
- يعنى إيه هتضيع بيت الولد.. دا كلها سنتين ونسدد ما عليه

- بيته؟؟.. دا لما يكون هيقعد فيه.. يملاه بعياله.. يونسه بحسه.. يزرع جنينته.. مش بيت مهجور وجنينه بور.. أنتى ناقصه أشباح مأنتى شبعانه ومشبعانى معاكى.. وكفاية عليكى بيت أبوكى لا بتسكنيه ولا بتبعيه
- أنت عاوز أغراب يسكنوا بيتنا وينزلوا صورنا ويمحو آثارنا
- لا دأنتى هتجننينى.. دحنا عدينا الستين.. يعنى تقريباً بنلم عزالنا مالدنيا.. صور إيه وآثار إيه اللى بتفكرى فيها.. ما تفكك من جو المعابد اللى غرقانه فيه لشوشتك.. دا كبيرهم لما نموت زيارة أسبوع يبيعوا وبتاع الخرده يشيل اللى أنتى ماسكه ومتبته فيه
- مستحيل.. أدهم مش ممكن يعمل كده ولا حتى عبدالحميد
- حقك عليا.. هما ربنا فاتحها عليهم ومش محتاجين.. بس سيبينى بقى أساعد المحتاجين.. اللى فى عرض حيطان وسقف يأويهم
- هتبيع بيت ابنك الوحيد
- كفايه إستفزاز بقى.. مهو بايعنا احنا شخصياً.. مالاخر أنا هعمل دار للأيتام.. حكم فاقد الشئ هو أكتر واحد

حاسس بيه.. دول اللى هيفتكرونى ويدعولى.. وأنتى أختارى براحتك.. لا صور عالحيط.. لا لحم ودم وناس فيهم حياة بجد

حسم صالح أمره.. أتخذ قراره، لم يُثْنيه عن تنفيذه معارضة رقية وإتهامها له بالتفريط فى حق ولده، باع المنزل والحديقة وشرع فى بناء الدار، أصبح يقضى كل وقته فى العمل، يسابق الزمن وكأنما يخشى أن يباغته الموت دون أن يلحق بموسم الحصاد. فى الجنة العامرة.. أنتقى لهم أجمل الثياب، علت الصيحات وعم المرح.. عيناه حائرة ما بين طفل يقفز هناك واخر يحبو بجانبه، تزينت الطاولات بزهور بالكاد تفتح للحياة أوراقها.. تراصت أطباق أمتلأت بشتى أنواع الحلوى تتوسطها كعكة الميلاد.. أختلطت الضحكات بأنغام الموسيقى.. كفت الساعة عن ركضها.. بهمة وهبها الفرح روحه راح يداعبهم.. يراقصهم.. يضحى طفل منهم.

اِنطفأت الأنوار وتمايلت ألسنة الشموع.. أحتضنت الوجوه.. تلك التى تصنع دائرة بفضل الأذرع الملتفة حول بعضها.. يعيد أحدهم الزر لمكانه.. فإذا بها.. رقية تتوسط تل من هدايا طالما كانت حبيسة الخزانة.. حررتها وتحررت معها.

ننتظر العدل.. بينما الظلم يجرى بعروقنا مجرى الدم.

الحكم قبل المداولة

"وحشتينى يا عمتى، نفسى أبقى أزورك.. تعرفى أنا عمرى ما شوفت بيتك".. قالت مريم ابنة الرابعة عشر فى العرس وهى تجلس بجوار أمينة تكاد تلتصق بها.

يأتى العيد فما يحمل جديد سوى بعض الملابس.. الحلوى.. وأوراق نقدية بلا ماضى، تنتظر أن يدق الباب، يمتلئ البيت بزوار تحسب نفسها بضع منهم، تنقضى الأيام فما تسمع سوى تلك الأصوات التى ألفتها منذ نعومتها.. فقط والديها.

تعود للمدرسة، تسرد الصديقات يوميات الفرح، أجتمعنا فى بيت جدى، سهرنا حتى الفجر، أهدتنى عمتى حقيبة ملونة، وعدتنى بأن تصطحبنى معها إلى الأسكندرية حيث شقتها التى تكاد تحتضن البحر، سأقضى الصيف بأكمله أتبارى مع مها"من ستبنى بيت رملى أجمل؟"، منحنى عمى العيدية الأكبر"لتليق بفتاة لا طفلة".. قالها مازحاً، تعلو الضحكات فما يسمع بكاء قلبها سواها.

تحصل على نتائج الفصل الدراسى الأول، تنظر ساهمة لدرجاتها، تلمع الدموع فى عينيها، تحاول كبحها.. تغلبها.. تغمر

وجهها، تسرع إلى دورة المياه، تخرج منديلاً تلو الآخر، كلما أمتصت قطرات أنهمرت غيرها، تبعتها هديل.. هالها المشهد، أدهشها حزنها وقد حصلت على أعلى الدرجات فدائماً ما تُوجت ملكة على رأس قائمة المتفوقين، سألتها فما أجابها سوى الصمت ومزيد من الدموع.

تكورت فى بقعة من السرير تخفى وجهها بين راحتيها، مؤصدة هى كل الأبواب.. باب البيت.. باب الغرفة.. وباب سعادتها.. فقط باب واحد مفتوح على مصراعيه.. باب حيرتها.

أنتهت والدتها من صنع طعام الغذاء، أنتظرتها لتعد المائدة.. تضع لمستها الراقية على توزيع الصحون والأكواب، طال الغياب.. نادتها.. راجعها صدى صوتها.. طرقت غرفتها.. لم تفتح.. لربما هى نائمة فما من ضوء يتسلل عبر الباب، ولكن ما عهدتها تتخلف عن موعد الغداء، دوماً يتقاسماه معًا فى مثل هذا الوقت فوالدها يعود متأخراً من عمله.. أعادت الطرق.. ساورها قلق.. أدارت المقبض فأصطدمت عينيها بالكتلة المتكورة، أضاءت النور.. رفعت مريم رأسها فشهقت والدتها فزعاً.

- فى إيه يا حبيبتى؟

(تحدق فيها وكأنها تراها لأول مرة)

- أنتى جبتى درجات وحشه؟

(تمد يدها إليها بشهادة التقدير)

- طيب فهمينى حد ضايقك.. اتخانقتى.. زعلتى مع حد؟

(تنطق بكلمات مرتجفة فتبدو كمن يعانى خلل فى مخارج الكلام)

- أنا كل الناس زعلانين منى
- ليه عملتى إيه؟
- معرفشى أنا عملت إيه أو أنتوا عملتوا إيه.. بس أكيد حاجة غلط حاجة وحشه.. حاجة خلتنا لوحدنا محدش بيحب يقرب مننا
- ليه بتقولى كده؟.. احنا عمرنا ما أذينا حد
- علشان دى الحقيقة اللى عايشنها وبنحاول نضحك على نفسنا وننكرها
- احنا عايشين أحسن عيشة ومش ناقصنا أى حاجة
- ناقصنا أهم حاجة.. الأهل.. العيلة اللى أحس إنها مرحبه بيا مش بفرض نفسى عليها فى كل مناسبة.. سلام إضطرارى وكلام بالقطارة.. ليه ديما بنبان مذنبين.. مفروض عينا تبقى مكسورة وكلمتنا محشورة متطلعش.. بنطبطب بس وياريت حد راضى

(تتصنع والدتها القوة فتخاطبها بنبرة حادة)

- أنتى شاغله نفسك ليه بفلان وعلان.. بصى لمستقبلك بكره تبقى أحسن الناس مش محتاجه لحد
- محتاجه لحد يقولى مبروك لما أنجح.. محتاجه لحد يشاركنى فرحتى.. كتير
- معدتيش عيله.. كبرتى وتقدرى تقيمى الأمور وتوزينيها كويس، بباكى متفقش مع مراته لأولى رغم الأربع ولاد اللى بينهم كان كل واحد فيهم فى وادى، ويا بنتى فى الحالة دى الراجل لما يفكر فى جواز تانى يبقى ياله عليك غضب الله أنت وكل اللى هيجى بعد كده من ريحتك
- يعنى إيه غضبهم مالوش اخر.. مش هيجى يوم وينتهى دا احنا منهم وفى وشهم
- أوعى تفتكرى إنى محاولتش أودهم وأقرب منهم، بس ديما الاتهامات جاهزة"كهن ستات"..."عامله بنت ناس خرابة البيوت"..."بتفهم أوى فى الأصول خطافة الرجالة".. أتحملت برضه وميأستش قولت أقربك من أخواتك.. أنتم الأبقى لبعض

- عارفه يا ماما.. فى فرح ريم كنت حاسه نفسى غريبه مش فى فرح أختى، قعدت جنب عمتى أمينه، حسيت فى ملامحها حنية، كان نفسى تسألنى أنتى فى سنه كام؟.. شاطره ولا؟.. كان نفسى أقولها إنى على طول الأولى، كان نفسى تبصلى تركز فى ملامحى تشوف الشبه اللى بينى وبينها، كان نفسى أسمعها بتنادينى باسم دلعى، تطلب منى أزورها.. أقضى يوم مع بنتها رضوى، احنا تقريباً من سن بعض يعنى ممكن نبقى أصحاب، كان نفسى فى حاجات ياما بس ملقيتش غير إبتسامه خايفه حد يشوفها فيتلام عليها.. مع ذلك كدبت روحى.. اتجرأت وقولتيلها اللى شايلاه جوايا"وحشتينى يا عمتى، نفسى أبقى أزورك.. تعرفى أنا عمرى ما شوفت بيتك".. عينيها جاوبتنى.."ولا عمرك هتشوفيه"

(أحتضنتها والدتها وقد تخلت عنها قوتها الزائفة)

- اللى زينا يا بنتى بيبقى الحكم عليه قبل المداولة

المظاهر.. الأكثر جاذبية وأحياناً كذباً.

أنف قذر

- لماذا أنفك قذر؟
- كنت أحفر فى الأرض.
- ولما؟
- لأختبئ منك أيها الثعلب المكار.
- وقدر الفار يفر فى الوقت المناسب مالتعلب المكار... عجبتك؟
- أوى يا ماما.
- طيب روحى كملى لعب فى أوضتك حبيبتى.

كانت القصة الأحب إلى سارة منذ أهدتها إليها مدرستها وهى فى العاشرة لتفوقها الدراسى، وها هى تعيد قراءتها لإبنتها لمى، "وهل ثمة شئ أمكر من الذكريات؟" هذا ما أعتقدته دوماً سارة، فلكم حاولت مراراً ان تحفر مخبأ كهذا الفأر الضئيل، وليحمل أنفها القاذورات عوضاً عن ذاكرتها، مخبأ مقدس.. تخلع فيه كل ما يثقلها.. تستمع لما توحيه إليها روحها.. يتحرر لسانها.. تنفك عقدته... ينطلق.. فتجيب الجدران بأصدائها.. تطبع عليها نقوشها.. ولكنها تجيب بذات الصور.. فينعقد لسانها وتنهدم الجدران وتعتمر ذاكرتها والتى ما تحسب أنها خلعتها.

باغتها ذاك الزائر الثقيل، صداع طالما أفسد ما تبقى منها، تناولت قرصاً مسكناً رغم علمها بعدم جدواه، بالكاد أستطاعت أن تصنع فنجان من القهوة، تمددت على الأريكة وألتقطت جهاز التحكم، تنقلت بين القنوات بطريقة عشوائية حتى أستوقفها حديثه.

- الإشهار شرط أساسى لصحة الزواج، اى حد يقولك غير كده يبقى مش بس بيتلاعب بيكى لا دا كمان بيتلاعب بشرع ربنا.
- حضرتك ممكن تكون فيه ظروف تمنعه فى الوقت الحالى من الإشهار وتوثيق الجواز بالشكل المعروف.
- يبقى تستنا لما يظبط ظروفه، إنما تجازف بسمعتها ومستقبلها دا جنون هى بس اللى هتتحمل عواقبه.

ليتها أنتظرت، ولكنه حاصرها لم يترك لها فرصة لتختلى بنفسها فلربما تمهلت، سمحت لعقلها أن يكبح زمام قلبها، ألا يسمح له بالإنزلاق لهوة لا يعلم مدى عمقها.

كانت جميلة ووحيدة، انفصلا والداها فى صغرها، تزوج كلاهما بينما بقت هى مع جدتها لأبيها، راعتها قدر إستطاعتها إلى أن رحلت، حملها أبيها لبيته، أضاف قطعة غريبة لأثاثه، شعرت

بذلك منذ الوهلة الأولى، لم تتحمس زوجته لوجودها ولم ترفضه، حتى أشقائها حاولت ان تندمج فى عالمهم فباءت محاولاتها بالفشل إذ لم يكن فيه مكان شاغر حتى تشغله، أنطوت على نفسها فنادراً ما تطأ قدمها الشارع، إلى ان كان يوم تنذر سماءه بسقوط الأمطار وهاتفتها صديقتها سها.

- فينك يا بنتى من شهر مسمعتش صوتك، هو البيات الشتوى طال حتى الكلام.
- لا شتوى ولا صيفى، الأيام كلها نسخة من بعضها بتمر من غير ما أفصل بينها، بيلضم اليوم فى اليوم والأسبوع فى الأسبوع والشهر فى الشهر من غير جديد.
- ما أنا جايبالك الجديد، الأسبوع اللى فات حضرت درس لحد مقولكيش، روحت روحى خفيفة لا إكتئاب ولاهم ولا وجع قلب، طايره مع الملايكه.
- طايره معاهم ولابتأكلى رز بلبن معاهم... حددى الكلام ده كان عالصاحى ولا عالنايم.
- يا ستى مش بهزر، أكسرى الحصار اللى عاملاه على نفسك وتعالى معايا جربى والدار قريبه أوى من بيتك.
- خليها للصيف.

- هفوت عليكى الساعة 6 تبقى جاهزة ومسمعشى اى إعتراض.. حاضر وبس.
- طيب هستأذن بابا.
- هيوافق أنا واثقة.. يالا سلام.

رحب والدها كما توقعت سها وذهبا معًا، رجل فى الأربعينات من عمره تخلى عن المظهر المألوف لرجل الدين، يرتدى الجينز والتيشرت، تلائمت ملابسه مع جسده الرياضى، ملامحه هادئة وحديثه بث الطمأنية فى نفسها، تلك التى أفتقدتها منذ غض والداها بصرهما عن وجودها ومضى كلاً منهما فى طريق، تعجبت سها من تحمسها للمواظبة على الحضور، من بضع ساعات لم تكن لترغب حتى فى التجربة.

بدا كأخ أكبر لم يبخل بتقديم المشورة والنصح لطالباته والمساعدة أحياناً قدر استطاعته، فبمرور الوقت أصبح عالماً بأغلب ظروفهن، ومرت أشهر لم تتخلف ولو مرة عن محاضراته، حتى أصابتها وعكة فتغيبت، تفاجأت بسؤاله لسها عنها وعما منعها عن الحضور، لم تكن تتوقع إنه قد يلحظ غيابها وسط هذا الكم من الحاضرات، لا تدرى لما حرصت فى

المرة التالية ان ترتدى أفضل ما لديها، ربما شعرت بوجودها كإنسان بإنها أضحت أكثر من قطعة أثاث.

أعتذرت سها عن المجئ فذهبت وحدها، ألتقته أمام الدار بشوش الوجه كعادته، وجه تحيته للواقفين ثم بادرها قائلاً"حمد الله عالسلامه"، اجابت بإقتضاب"الله يسلمك"، ثم واصل حديثه:

- ليا زميل صاحب شركة عاوز سكرتيره تعرف كمبيوتر ومعاها لغة" لم يعط الفرصة لرد إذ أكمل " سارة ما تعملى "Interview".
- مش عارفه.
- ليه أنتى مش خريجة إداب إنجليزى وأفتكر معاكى "ICDL" حاولى مش هتخسرى حاجة.

وما هى إلا أيام حتى إلتحقت بالوظيفة، أصبح لها دخل خاص وأصدقاء تعرفت إليهم من خلال العمل إضافة لمن تعرفت إليهم من خلال محاضراته، إنه ولى نعمتها صاحب الفضل فى خروجها من شرنقتها التى كادت تختنق بداخلها، وحده من يكترث لها يتابعها يسألها عن أحوالها، تعلقت بصوته الذى يهاتفها بصفة شبه يومية، بوجهه الذى يطالعها مرة فى الأسبوع ومرات عديدة كلما أغفلت عينها لتنام.

حذرتها سها من إندفاع مشاعرها نحو رجل متزوج وله عائلة فلم تستمع لها، فإن كان بينهما من عليه أن يتوخى الحذر فليكن هو، شخصية مشهورة معدود عليه أنفاسه محسوبة عليه خطواته.

تزوجته سراً مراعاة لظروفه، أبدًا لم يساورها شك فى أن يتلاعب بها حتى حملت، تحول الحمل لهمج، ثار فى وجهها وطلب منها أن تجهض نفسها، رفضت فإنهال عليها ضرباً ثم تركها لصدمتها وخرج، زارها بعد أيام وقد تخلى عن إبتسامته.. فقط شرر يتطاير من عينيه، هددها وتوعدها إن حاولت نسب طفلها إليه أو الزج بإسمه فيما يسئ لسمعته.

أدركت أنها النهاية.. لم تره بعدها، وهاهو بعد خمس سنوات مازال يرتدى نفس القناع ويلوك نفس الكلمات.

خرجت لمى من غرفتها، ألقت نظرة على الرجل الجالس خلف الشاشة ثم أعادت النظر لوالدتها:

- مين ده يا ماما.
- دا التعلب.

تجارة أبدًا لن تبور.. مادامت تُزرع فى عقول بور..

تنثر حبات الوهم.. ترويها بالجهل.. فتنبت بضحايا لا حصر لهم ولا عد.

جلب الحبيب

ترضى بما قسمه الله لها، أبدًا لم تنتابها مشاعر الغيرة أو الحسد فدائماً ما أحست بأن ما تملكه هو الأفضل، ولكنها كأى امرأة.. إذا ما تعلق الأمر بأمومتها.. بأبناءها أصبحت شخص آخر، آخر رغم غربتها عنه إلا إنها تستسلم له.. تدافع عنه بإستماته.. فالأمر يستحق، إنها إبنتها تلك التى تجاوزت الخامسة والثلاثين ولم تتزوج بعد.

يمر بخاطرها صور لكل زميلات إبنتها وهن فى أثواب العرس، ثم وهن يحملن أطفالهن.. وما تلبث أن تتوقف عندها.. ليست أقل منهن، تسيطر عليها أفكار لم تكن تتصور يوماً أن تتسلل لعقلها، وها هى اليوم على شفا الإيمان الكامل بها والانسياق ورائها، صمتت وصمتت وأخيراً تحدثت.

- ليلى
- نعم يا ماما
- تعالى أشربى معايا الشاى
- حاضر

دارت بينهما أحاديث عدة لم تكن تعى أكثرها، مشتته هى فما تكاد تبدأ فى موضوع حتى تقفز لغيره، وكأنها لا تملك الجرأة لمواجهة إبنتها أو حتى مواجهة نفسها بما ستقوله، ولكنها أدركت أنه لا مفر، رفعت صوتها قليلاً مصطنعه الثقة

- إحنا لازم نشوف حل فى موضوعك
- موضوع إيه؟
- أنتى متجوزتيش ليه لحد دلوقتى؟
- النصيب
- وأشمعنا نصيبك أنتى بالذات غير نصيب كل البنات؟
- لا ده نصيب كتير منهم.. بس أنتى مش شايفه غيرى"كل يبكى على ليلاه يا أم ليلى"
- بس أنتى ألف من يتمناكى ومفكيش أى عيب
- عادى عندنا النهارده فى مصر ملايين البنات بيسموهم عوانس وبرضه مفهومش أى عيب
- لا الكلام ده مبقاش ينفع معايا، أنا صبرت كتير وصبرى نفذ ولازم أتصرف
- مش فاهمه تتصرفى فى إيه وإزاى ده كله بأمر الله
- ونعمه بالله بس أنتى اكيد مسحورة ولا معمولك عمل
- أنتى أكيد بتهزرى

- لا طبعاً هو مستقبلك فيه هزار.. أنا خلاص شوفت فى التلفزيون شيخ عشرة على عشرة بيحل كل الأمور دى وبيقول نسبة النجاح 99%
- ده مش نسبة النجاح ده نسبة الإحتيال ، دول شوية دجالين على نصابين
- يعنى أنا هعمل حاجة حرام ولا نيتى أذية حد لا سمح الله، أسمعى الكلام
- لا معلش أنا مش ممكن أوافق حتى على الفكرة مش أنفذها
- لا مش مهم توافقى كفاية أنا موافقة وأنتى هتنفذى

تركت ليلى أمها لتختلى بنفسها، تشعر وكأنها فى بئر عميق، هى الأستاذه الجامعية التى تهاجم تجارة الفضائيات بأحلام الناس ليعيشوا غيبوبة الوهم بدلاً من مواجهة الحياة، الإعتراف بحقائقها ومستجداتها على حد سواء، كادت أن تفقد عقلها، ثم ما لبثت أن طمأنت نفسها"دى مجرد زوبعة فى فنجان مش أكتر".

لم يعد يمر يوم دون أن يتكرر الحوار بإلحاح أكثر وبغضب أكبر، بحثت عن دعم فعادت صفر اليدين.

وحدها هى متعبة ممدة فى فراشها، تدير قنوات التلفاز بطريقة عشوائية، فاجَأها... اِستسلمت... اِلتقطت ورقة لتكتب أرقام ظهرت على الشاشة "هنقرب البعيد وهنجلب الحبيب".

كفكفى دموعك.. لن ينسكب اللبن ثانياً..

فما عاد بإمكانك اِبتياع المزيد.

حالمة بأكثر مما ينبغى

سددت ضربات متتالية للمنضدة، ليتها سددتها لرأسه لتهشمه، فلربما أفرغت شحنة غضبها، أسرعت تغترف الماء البارد فتمسح به وجهها علها تهدأ، أشعلت عود من البخور الهندى، أدارت موسيقى ناعمة، وسمحت فقط بإضاءة خافته، أعدت فنجان من القهوة الدافئة، تمددت وأسترخت فى محاولة يائسة لنسيان تفاصيل تلك المكالمة، كانت الردود صادمة، أستعطفت كفها كى يقاوم رغبتها فى إنهاء الحوار، لن يكلف الأمر سوى ضغطة واحدة، رغم ذلك تحلت بالصبر حتى النهاية فلا مخطئ غيرها، فلطالما كانت حالمة أكثر مما ينبغى، تتعامل مع المفروض لا الموجود.

- أنا محدش عملنى... ولو فينا حد أستغل التانى يبقى أنتى
- ليه أنا اللى كنت متخرجه ليا سنتين وقاعده فى بيتنا محدش بيقولى أنتى فين، أنا اللى لف يوماتى عالمكاتب ومش عارفه حتى أشتغل تحت التمرين
- بس يوم ما أشتغلت فى ظرف سنة بقيت أهم محامى فى المكتب.. الدراع اليمين والشمال كمان

- لا الشهادة لله أنت فى الشمال ملكش زى، بس متنساش بس إنك أشتغلت بتليفون منى، لولا إن دكتور حمـــدى كان صديق شخصى لأبويا ما كانش عبرك، ما فيه زيك آلاف
- ولما فى زيى آلاف كنتى بتجرى ورايا ليـــه فـــى كـــل مكان، دأنتى كنتى بتطلعيلى مالملفات
- ألف وراك فين.. أنا عمرى ما روحت حوارى.. أنـــت اللى كنت مبرشط علينا فى النادى.. أهو أى حد يسلكك وتدخل
- أدخل نارك.. صيدتينى أول ما شوفتينى.. بايره بقى وما صدقتى
- ولما أنا بايرة صيدتك بإيه بقى غيـــر إذا كـــان الطعـــم فلوسى ونفوذى.. طعم ميأكلوش غير إنتهازى ووصولى
- وفلوسك ونفوذك دول يساوا إيه ادام شبابى يا بايرة
- بايرة إيه! إيه الهرتله دى... ده أنا أكبر منـــك بخمـــس سنين مش بخمسين.. ويوم ما ربنا بلانـــى بيـــك كـــان عمرى تلاتين

- اه فاكر.. بالأمارة كان ساعتها كل صحباتك متجـــوزين واللى معاها عيل واللى معاها اتنين.. وأنتى قاعدة زى الغراب
- مأنت كنت بتبوس التراب اللى بيمشى عليه الغراب اللى عملك طاووس منفوش.. الغراب اللى يقدر يقصقصـــلك ريشك الملون ويرجعك لأصلك
- هو أنتى لسه عايشه فى قديمه.. لا ركزى شـــويه فـــى الصورة.. شوفى مين أتشال منها ومين بقى قاعد ومربع فيها
- مالاخر يا عماد كل حقوقى ونطلع بالمعروف
- دا لو كنا دخلنا بيه.. إنما أنتوا نصبتوا عليا، كتبتـــونى مؤخر ميدفعش للأميرة ديانا.. طبعاً مأنا كنت عبيط
- أنت كسبت من ورايا اللى ما كنتش تحلم بيه وده حقى
- وأنتى عيشتى معايا عشر سنين تأمرى وابن الخـــدامين بيطيع.. أظن كده احنا خالصين
- مش هسيب حقى
- نصيحة سيبيه وأنسيه متخلنيش أزعلك.. وأنتى عارفـــه أنا أقدر أعمل إيه

عرفته شاباً خلوقاً يشع البهجة فيمن حوله، يجتذب أنظار الجميع بحلو حديثه فيغضوا البصر عن تواضع مظهره، تودد إليهـــا.. صدته.. ألح عليها.. مالت فى شئ من حذر، فالفوارق الماديـــة والإجتماعية أصعب مما يمكن تخطيه بسهولة، هذا إن أغفلـــت فارق العمر.. فعام واحد يجعل منها أم له فى أعراف مجتمعاتنا.

غازلها.. أيقظ أنوثتها.. أحبته.. ناضلت بما يكفى لتحرير القدس لتبارك عائلتها الزيجة المشينة من وجهة نظرهم، مؤخر الأميرة كان من إقتراحه هو لا والدها، أراد أن يبـــرهن علـــى حبـــه، دعمته بكل ما أوتيت من قوة، صنعت منه أمير لا سجين كمـــا يدعى، أئتمنته على إدارة أعمالها.. أستنزفها بألاعيب يجيـــدها مثله ببراعة، يوماً بعد يوم لمع أسمه بين مشاهير رجال القانون، ويوما بعد يوم خفت وهج حبه، هالها تعليقه الفظ لأول مرة على كبر أنفها.. إنتقاده لقصر قامتها، تدرك إنهـــا ليســـت بالجميلـــة ولكنها أيضًا ليست بالدميمة لينعتها بالغراب، لم تستطع البـــوح فلا قبل لها بمواجهة شلالات اللوم، وأخيراً أنتهى دورها وحيدة فى شقة صغيرة هى كل ما تبقى لها.

أنتزعتها دقات الباب من شرودها، هبت واقفة لتـــرى القـــادم، أدارت المقبض، فتحت لتجد فتى صغير لا يتجاوز الثامنة يحمل

لفافة ملابسها وقد تم كيها، تناولتها ووضعتها جانبـــا، ســـحبت الدرج وألتقطت ورقتين نقديتين ناولتهما للفتى قائلة" ده الحساب ودى تجيب بيها حاجة حلوة"، تهلل وجهـــه بـــالفرح إذ كانـــت الورقة ذات فئة كبيرة ربما لم يحظى بمثلها منذ أن وطأت قدماه الدنيا، أغلقت الباب وقد أنتقلت إليها عدوى الفرح، داعبت لوحة المفاتيح كما لو كانت بيانو لتكتب" حقاً الصدقة لا تطفئ غضب الرب وحده بل تمتد لتطفئ غضب العبد أيضًا".

القسوة الأَمَرُ على الإطلاق.. تلك التى يمنحها لنا من نحسبهم الأحن.

حبر على ورق

لم يكد يمر يوم دون أن أسمعها ترددها "عاوزه تخربيها.. كترى الستات فيها" فتجيبها عمتى ضاحكة "ليه بس يا ماما.. شايلانا وزاعقه"، فتكمل فلسفتها والتى لا مجال عندها للتشكيك فى صحتها" يا بنتى نص كلامهم نميمة، والنص التانى توقيع وشعلله وتوليع مالبص لبعضهم والغيرة" رحمة الله عليكى جدتى. أصرت والدتى على إصطحابى، حاولت التملص فما أثقل على من تجمعات النساء وخاصة فى العزاء.

- ما بلاش أنا وأهو البركة فيكى
- عيب يا حبيبتى أنتى كبرتى ولازم تراعى الأصول.. وبعدين هيبقى شكلك إيه إدام رضوى لما تقابليها وأنتى أستكترتى حتى تروحى تعزيها فى عمها وأنتى عارفه هى كانت بتعتبره مكان أبوها الله يرحمه.. يعنى دى تانى مره تتيتم
- الأصول.. أكتر كلمه بتتفصل حسب مزاج الزبون وعلشان كده بتجيبلى حساسية.. وعمومًا هأجى معاكى وأمرى لله

أكره ملابس الحداد، أحسبها أول الدرج فى سلم النفاق، يليها إستعطاف للدموع وذكر مآثر لا تمت بأية حال للفقيد فى مشهد سينمائى كل أبطاله مصطنعون، ولكنها الأصول!! ما أن وطأت قدمى الردهة الكبيرة حتى هالنى العدد، تعمدت إختيار ركن بعيد رغم ذلك أخترقت أذنى أحاديثهم.. تمتمت "رحمة الله عليكى جدتى"، هموا بالإنصراف مجموعة تلو الأخرى، لم يتبقى سواى ووالدتى وأهل البيت.. وهى، ألحوا فى بقائنا فمنذ أنتقلنا لسكن اخر لم نلتقى، توقف العرض وتسربت بعض من روح المرح للحديث فسمح بالتهنئة بالزفاف الجديد.

- عامله إيه فى الجواز يا رضوى
- مبسوطه الحمد لله.. بس طاهر هو اللى معكر دمى
- ليه؟ زعلان إنك أتجوزتى؟
- لا يا ستى ولا فى دماغه.. بس بيقول للهانم يا ماما.. أكونش مت

وكأنما سرى تيار كهربائى للجالسة بجوارى فراحت تنتفض وتشيح بذراعيها وتصرخ قدر إستطاعتها

- ماما إيه.. دى كبيرها يتقالها يا طنط.. وطنط كتير كمان

- والله عندك حق يا أميمة.. هى راحت ولا جت هياله مرات أبوه
- مع إحترامى لحضرتك يا طنط أنتى وأبله أميمة.. بس يا رضوى طاهر مش غلطان.. هو عايش معاها بعد جوازك واللى أعرفه إنها بتعامله بما يرضى الله فإيه يمنع من إنه يقدرها ويقولها ماما وبدل الأم تبقوا أمين
- معاملة إيه وأمين إيه.. أنتى لسه صغيره مش فاهمه حاجة.. أوعى يا رضوى تسيبى إبنك لواحدة غيرك.. كفايه أبوه
- يا أبله ما رضوى كمان مرات أب.. ترضى يعنى جودى تفضل تعاملها بجفا وكأنها غريبة رغم كل اللى بتقدمه ليها

بإيماءة من والدتى ألتزمت الصمت فما من كلمات تطفئ نار امرأة فى مثل وضعها، مشتعلة هى دوماً ما تلبث أن تقترب منها حتى يلفحك لهيب جحيم تحياه وحدها، مسكينة"أبله أميمة" أندمل جرح حبها أما كرامتها فلا، لذا راحت تنفث فى رضوى قيح جرحه. نزل عن دراجته وطلب بعض المشتروات، بدا ابن التاسعة كقزم هرم.. ربما لم يلحظ وجودى أو ربما تجاهله.

- طاهر.. أزيك عامل إيه؟
- الحمد لله بخير
- أنت مش فاكرنى يا حبيبى
- لا طبعاً.. أبله نورا بنت طنط فوزيه اللى كانت جارة تيته
- جدع يا طاهر.. إيه الإجابة الكاملة دى.. شكلك شاطر فى المدرسة
- يعنى.. مش أوى
- مبسوطه إنى شوفتك.. عاوز أى حاجة؟
- لا شكراً يا أبله
- طيب متنساش تسلملى على ماما
- مش هنسى بس موعدكيش يحصل.. وياريت لو شوفتيها حضرتك تبقى تسلميلى عليها

قالها وذهب، تزاحمت الأفكار فى رأسى حول رضوى، ترى ما الذى منعها رؤية ولدها؟ حتى وإن كان زوجها السابق منعه زيارتها أو الحالى منعها إستضافته فبإمكانها إنتظاره فى طريق عودته من المدرسة.. مؤكد لن يتفرغ أحدهم لمراقبته جيئة وذهاباً. لم يكن جين الفضول النسائى ليسيطر يوماً على.. ولكن نبرة الصبى.. جسده النحيل وروحه الخاوية.. وذاك الفراغ

الممتلئ به عينيه دفعنى للبحث فى التفاصيل بل والزج بأنفى فى أدقها.

- ماما.. هى رضوى أطلقت ليه؟
- مش عادتك يعنى تتدخلى فى خصوصيات الناس.. وبعدين إيه اللى فكرك تسألى بعد سنين
- يمكن علشان جوازها مستمرش أكتر من ست شهور.. دى حتى مستنتش لما تولد.. فأكيد السبب مش هين
- واللى أنتى بتقوليه دا يعنى كان إكتشاف بالنسبالك.. مهو أدامك من زمان.. إيه اللى جد قوليلى
- إيه يا ماما شغل المحققين ده.. ما تريحينى ولو عارفه السبب قوليلى.. هى يعنى هتكون أكتشفت إنه تاجر سلاح ولا يكنش طلع مثلاً قاتل مأجور
- لا الموضوع غير كده خالص.. بس الواحد مش عاوز يظلم حد خصوصاً وإنى سمعت من طرف واحد
- والله ما حد مظلوم إلا طاهر.. دأنا من ساعة ما قابلته الصبح وأنا موجوعة أوى
- اه.. بقى هى الحكاية كده.. وأنا أقول مش دى نورا بنتى اللى جايه تقرر فيا وأجيلها من هنا تجيلى من هنا.. طول عمرك حنينه يا حبيبتى

- طيب كويس أوى إنى صعبت عليكى.. أحكى بقى
- بصى يا ستى عاللى سمعته من مامتها إن طليقها كان بيحب واحدة وأتقدملها بدل المرة تلاته بس أبوها رفضه، وعلشان يرتاح من الزن بتاع بنته ويقفل الباب خالص فى وشهم جوزها لواحد قريبهم جيبه مليان قدر حلاوة بنته، أصلهم بيقولوا إنها تحل من على حبل المشنقة
- وهى بقى لما عرفت إنه كان هيموت على غيرها الغيرة أكلتها ومقدرتش تكمل معاه
- إيه الخيال التعبان ده.. يا بنتى دا لو كل واحدة دورت ورا جوزها هتلاقيه حب قبلها عشرة عالأقل، بس أهو كلنا بنكبر علشان نعيش.. طيب أنتى عارفه سمر بنت طنطك كريمة
- مالها هى كمان؟
- باباها سماها على اسم خطيبته الأولى علشان اسمها يفضل يجرى طول العمر على لسانه.. ومراته عملت عبيطه وأهى ريحت الزبون والمركب مشيت
- بس دا صعب أوى

- الأصعب النقار الى اخرته الخراب وعيال زى طاهر موجوعين وواجعين
- نرجع لموضوعنا.. مش عارفه ليه حاساكى عاوزه تتوهينى وتخلعى مالإجابة
- اه.. بصراحة خايفه مالحساب والعذاب لا يبقى قذف محصنات وأروح النار علشان الفضول اللى هبط فجأة على سيادتك
- هى فيها قذف محصنات!! مش هسيبك
- يعنى مبقاش ليكى بس فى الفضول لا دا كمان فى الذنوب.. يا خسارة تربيتى ليكى
- يا ماما بقى دا تلاقى مصر كلها عندها خبر بس أنا اللى طول عمرى فى شرنقه لوحدى.. أنجزى ذلتينى
- قالتلى إن حتى بعد ما كل واحد فيهم أتجوز لسه برضه على علاقة ببعض.. وطبعاً ربنا اللى يعلم دا صدق ولا افترى علشان يعنى تبرأ بنتها وتطلعها ضحية
- يعنى علاقة علاقة ولا الأوفرة اللى متعودينها
- بيقولوا علاقة علاقة
- طيب وهى عرفت إزاى؟

- والله بقى دا لا هى قالتهولى ولا أنا سألتها عليه
- طيب أدينى عقلك..
- لا أنا هديكى الطرشه علشان أنتى صدعتينى.. دا ما كاتش مقابله.. مالمتبهدلين ياما بس احنا اللى أتعمينا وبقت قلوبنا حجر
- أيوه أنا بقى عاوزه أوصل للقلوب الحجر.. وإيه اللى يحجر قلب أم على ولدها.. مهى كملت حياتها ودا حقها مش عيب ولا حرام.. بس الغريب إنها مستعيباها ليه.. محرماها عليه
- العند يا بنتى لما بيدخل بين اتنين بيبقى كل همهم يكيلوا لبعض.. بيتغذوا على عكننة المزاج زيهم زى البتوع دول الفانبير اللى حياتهم فى موت غيرهم
- إيه العمق ده يا ماما.. دا الأمريكانى عمل معاكى شغل عالى
- لا يا بنتى مش الأمريكانى دا العاهات اللى عكرت أصفى علاقات.. شفتى أميمة والغل اللى كان بينط من كلامها
- بس يا ماما هى معذورة.. بعد ما شقيت مع جوزها عمر بحاله وحطت القرش عالقرش تيجى واحدة من

دور بناتها تقش كل حاجة.. تقعد فى بيتها وتركب عربيتها وتصرف فلوسها.. مهو شئ برضه يطير عقل أجدعها ست ولا حتى إن كان راجل برضه هيجن لو حد نصب عليه فى عمره

- بس ما كانش واجب تتفرغ لشحن العيال على أبوهم.. دول يطيقوا العمى ولا يطيقهوش.. صحيح هوغلط فى حق أمهم بس هما جوا نن عينيه.. وبرضه الله وأعلم بالبيوت وهى مقفوله على إيه
- أنتى جايه معاه أوى كده ليه؟
- مش جايه معاه ولا زفت.. بس مش عاوزه حد يجى عاللى مالهمش ذنب ولا دخل فى حاجة.. ليه تروى زرعه خضره لسه طالعه بميه مسمومه
- عندك حق يا ماما.. وأدى طاهر بيعبوه على مراة أبوه رغم إنها مهتمه بيه كأنه إبنها.. الهلكه اللى هو فيها مش بسببها، دا من الشده اللى هو عايشها.. كله بيوزه عالكره.. والكره يطفى مينورش
- ما علشان كده الولاد بيتخبطوا ما بين إحساسهم البرئ اللى عنده إستعداد يحب ويشوف الحلو وما بين نصيحة أقرب ناس اللى تعملهم زووم على مشكلة

تتعدا لو النية صافيه لله، وهوب النملة تبقى فيل وزلومته تنزل فيهم تلطيش شمال ويمين

- طيب تفتكرى ليه رضوى مش بتشوف طاهر بإنتظام؟
- جالها هوسهس.. محوطه على جوزها ليل ونهار.. مراقباه ولا أجدعها ظابط مباحث
- ليه بتحبه لدرجاتى؟
- حب إيه!! مش بقولك خيالك تعبان.. هى بس عاوزه تسد أى منفذ ممكن يخليها تشيل لقب مطلقة تانى.. وفى وسط المعركة اللى جواها نسيت طاهر وبقى اسمها فى شهادة ميلاده مش أكتر من حبر على ورق.. بس طبعاً منسيتش اللى جابه.. فعلى اد ما تقدر بتفكره إنه وإنه وإنه
- أنا كده فهمت
- فهمتى إيه؟
- فهمت إن شرنقتى جنة وعمرى ما هفكر أخرج منها لدنيتكم تانى

وعند الشدائد نرتدى عباءة تليق بيها.. والتى غالباً ما تبلى فور زوالها..

أو على أحسن تقدير حتماً ستخضع للتعديل.

دستور سبع نجوم

تحسبه الأوسم.. الأذكى.. الأخف ظلاً.. ليس فقط بين أقرانه بل من بين البشر أجمعين، ترددها متباهية "هو أنا سميته كامل من قليل.. جيب مليان وشكل ميفوقوش فى جماله إلا النبى يوسف عليه السلام".

تطلق لأحلامها العنان، سيتزوج فتاة أشبه بالأميرات، سنوهوايت الألفية التانيه أو ربما سندريلاتها.. ولكن ما الذى سيجذبه لفقيرة والثريات من حوله يتبارين فى إستمالته والإستحواذ على قلبه.

صادفتها فى عرس إبنة صديقتها، فى حسن لا يختلف عليه إثنان وفستان أبرز من مفاتنها ما أثار الإستهجان خطفت الأنظار.

- شاكى.. تبقى مين البرنسيس؟
- معقول متعرفيهاش.. عمرك ما شوفتيها.. أنتى متأكدة إنك عايشه معانا على نفس الكوكب.
- ليه دا كله.. منى زكى مثلاً.. مفتكرش دى عيون خضرا وشعر دهب.
- ولا منى زكى ولا حتى هند صبرى دى هنا البدرى.. ليها برنامج كارثة من بتوع التوك شو.. تقليعة اليومين

دول وبتجيب ضيوف واو.. ولا الفضايح اللى فى كل حلقة.. تتر النهاية ينزل من هنا والفيس يشعلل من هنا.

- مأنتى عارفه ماليش فى جو الفيس وكده.
- مفهوم مفهوم "Old Fashion" بقى.
- ماشى يا"Last Version" يا مواظبه عالـــــ Update
- بس أنتى مركزة معاها ليه كده؟
- مالكل مركز.. هو أنا بس.
- الصراحة.. معاكى حق
- والبدرى دا بقى يطلع مين؟
- بدرى مين؟
- أبوها
- لا تعاليلى هنا.. تركزى فيها نقول مزة.. تركزى فى أبوها يبقى اللى بفكر فيه..
- خلصينى.. تعرفيه ولا
- أعرفه.. أعرفه... ولا نجوم السينما
- أفهم من كده إنه سليم باشا البدرى
- يا قديمة.. خلص جو ليالى الحلمية دا من زمان.. بس أقولك هو برضة باشا.. كان لواء ودلوقتى عالمعاش
- حلو.. مال وجمال وجاه.

- فضايح ولبس عريان ووش مكشوف ما تكملى.
- أنا برضة اللى قديمة ولا أنتى.. دى نجمة يا بنتى يعنى لازم تتابع الموضة فى كل حاجة.. فى اللى بتلبسه واللى بتقدمه.. يا ريتك يا كامل كنت معايا..
- كامل مش هيعجبه الحال ده أبدًا.. مش عارفة إزاى ابنك ومش قادرة تفهميه ولا تتوقعيه.
- ميعجبوش. وهو هيعوز إيه أكتر من كدة
- هو عاوز حاجة غير كدة خالص ولعلمك بقى النجمة بتبان منورة من بعيد.. الوضع عن قرب بتتغير كتير

أنطلقت تجمع ما أمكن من معلومات حول نجمتها التى وجدت فيها ضالتها، فكامل رجل أعمال حقق من النجاح ما يدعو للفخر، خصوصاً إذا ما قُورن بسنه الصغير وتاريخه القصير فى عالم "البيزنس"، فقد ينقصه الشهرة والأضواء وهو ما يحظى به كل من أرتبط أسمه بالشاشة ، "هنا البدرى" تلك التى أصبحت الأميرة والساحرة فى آن واحد.

- يعنى يا كامل ليا تلات أيام مش عارفة أتلم عليك.. لا برة البيت لا نايم.. انت لازمك ست تنظملك حياتك

- هاتى ما عندك يا ماما... إيه الجديد، باربى المرة دى وقعتى عليها فى بارتى ولا فى ديفيلية.
- ذكى يا حبيبى ولماح.. بس حاجة ميتقالهاش لا، مفيش عين إلا وركزت معاها فى الفرح.. طب دا العروسة صعبت عليا والله ما خدت بالى هى كانت لابسه إيه.
- تلاقيها بس كانت مخففة حبتين تلاتة.. والتركيز ماكانش إعجاب دا مش أكتر من تحرش بمباركة الأنثى ذات نفسها وتباهيها كمان
- ما كل البنات كدة
- لا بلاش حكاية كل دى.. لسه فيه اللى بتصون جسمها مش تتاجر بيه
- فين المتاجرة يا ابنى.. دى عروسة من بيت محترم مش بيت دعارة.. إدينى فرصة بس أشرحلك وانت هتبوس إيدى أجرى أخطبها لك النهاردة قبل بكرة
- أنا هبوس ايدك ورجلك كمان بس تشيلينى من دماغك
- أهو دة المستحيل..أسيبك أنا وتطمع فيك واحدة متسواش، دأنا كنت أموتها قبل ما تموتنى مقهورة

- يا أمى أنا نفسى أسألك سؤال من زمان.. هو أنتى إزاى بتحكمى على البنت إنها بنت ناس أو متسواش.. وإنك تموتى عليها أو تموتى بيها.
- لما يجتمع فيها الثلاثى الشهير.. المال والجاه والجمال
- مبدئياً أنا الثلاثى الشهير بتاعى التطعيم بتاع العيال.. وطبعاً مش قصدى بتاعك مالوش قيمة بس أنا أقدر أديهالها.. تشيل أسمى ودا جاهها.. تعيش بإمكانياتى ودا مالها.. والجمال دا حاجة ترجع لقلبى هيشوفها ويحسها ولا هينفر منها.. الحاجة الوحيدة اللى من عندها طبعها.. مهى مش جهاز هعمله فورمات واستبه من جديد عالكيف والمزاج
- كامل أنت فيه واحدة فى حياتك
- آه
- عينيك بتقول إنها من النوع اللى هموت بيها
- خدى فرصة يا أمى وشوفيها
- طيب ما تديى الفرصة دى لنفسك وتشوف هنا البدرى
- أنا شوفت خلاص
- هو أنت فاكر إنها مستنياك ولا أهلها ما هيصدقوا يا ابنى دى نجمة يعنى حواليها ميات

- أول مرة تشوفى إن ليا منافسين ما طول عمرك حطانى فوق الكل
- مالنتيجة انك عاوز تحطنى تحت الكل
- أنسى موضوع"هنا" وكل اللى شبهها أنا لقيت اللى هكمل معاها حياتى
- دا بعدك مش لازم علشان تكمل حياتك تقصف حياتى أنا
- نأجل الكلام لبعدين
- بعدين قبلين مش هرضى بأقل ماللى عشت أحلملك بيه واللى يليق ليك

جالساً هو فى مكتبه يلوم نفسه، أعجل بالمواجهة أم كان من الأفضل لو مهد لها قليلاً؟.. لن يتغير شئ فما ينتويه سينذر بحرب تسخر لها والدته كل أسلحتها، ستخوض معركة بقاءها حتى النهاية

- مش هتحكيلى الحلقة الجديدة
- حلقة إيه؟
- "مطلوب عروسة" مش فيه وجه جديد برضه
- وعرفتى منين سيادتك؟

- خبطت عالباب ودخلت وقعدت وحضرتك فى دنيا تانية.. باصص للنيل وسرحان فيه
- وانتى الصادقة غرقان فيه
- تبقى عملتها يا مجنون؟
- قولتها خبط لزق كدة.."آه فى واحدة فى حياتى" مهو كان لازم أحط اخر للموضوع يا لبنى
- سألتك مين؟
- هى الصدمة خلتها تسأل.. كانت مشغولة بالتهديد والوعيد والذى منه.. فى الغالب هتقتلك.. أنا عارف أمى كويس متقولش كلمة وترجع فيها أبدًا
- دافع عنى شوية يا أخى.. هى متخيلة إنك عاوز ترتبط بواحدة مالشارع علشان بس مش مطابقة للمواصفات القياسية بتاعتها
- دا عمر يا لبنى خليكى مؤمنة وأرضى بنصيبك وأنا وعد منى مش هنساكى أبدًا وأول بنوتة هخلفها هتبقى على أسمك
- لا أصيل والله.. ممكن نتكلم جد شوية بقى
- نقنع أمى دا خيال.. أتخلى عنك دا مستحيل.. حليها يا فكيكة.. مش الاستاذة برضة ماجستير تسويق ومسئولة

الدعاية والإعلان وتقدر تبيع التراب بتمن الماس.. ورينى شطارتك بقى

- دا على أساس إنى التراب
- متبقيش حساسة أوى كدة.. خليها يا ستى رملة ملونة لا وأمى تموت فى الالوان.. والله فكرة.. لينسز بقى أخضر على هاى لايت أحمر فى أصفر ونبقى حلينا أول عقدة
- دا حل معمارى رائع طيب ما تدينى فرشة لاكيه أبيض بالمرة.. وكفاية هزار بقى
- لا مأنا لا أهزر لا أطرقع.. أختارى
- براحتك وعلى راحتك.. هو أنا مستغنية عنك.. ممكن مبدئياً ترتب مقابلة ما بينا
- أنتى ليه مستعجلة على قضاكى.. فى الغالب مش هتسمعك وإن حصل كبيرها هترحب بيكى شريكة فى شغلى لكن حياتى أنسي
- أنا فعلاً هنسى... أنت صحيح واجهتها بس دة مش معناه إن عندك شجاعة تدافع عن إختيارك وتتمسك بيه
- لبنى..لبنى

لم تجب نداءه، تركته وذهبت تساورها الشكوك حول صدق مشاعره، أحقاً والدته قاسية متسلطة لهذا الحد أم يبالغ فى الأمر، خمس سنوات عمر حبهما، لم تعرفه يوماً ضعيفاً منساقاً لأحد، ولكن لربما يحمل نفس قناعاتها.. المنطق الأزلى "الحب حاجة أما الجواز ليه مقاييس تانية خالص" وفقط يحاول أن يتجمل أمام نفسه.

مرت أيام لم يتجاوز حديثهما شئون العمل، تملصت من كل محاولاته للتطرق لأمر زواجهما، أمنت بأن الكرة صارت فى ملعبه، وحده من يختار ما بين لاعب أو متفرج.

خانها قلبها حين خانته الظروف، فبعد أحداث يناير تعثر فى سداد أقساط القروض وكذا رواتب عماله، هددوا بالإعتصام فكاد أن يتوقف مصنعه، بدا أبناء طبقته كمن فى يوم الحشر "نفسى.. نفسى"، لم يجد سواها.. وحدها لبنى ضحت بإرثها، وديعة تمثل كل ثروتها وكل مشوار عمل أبيها، لم تكن بالكثير ولكنها وكما يقال" نواة سندت الزير" منعته من أن يسكب ما أختزنه على مر سنين، حتى والدته لم تجد ملجأ تحتمى به سوى بيتها، هابت الإقامة وحدها فى منزل يحسبه الكثير منجم مباح سلبه ونهبه.

- مين كان يصدق إنى قايمه نايمه فى بيتك.. لا وبأكل كمان كل يوم من عمايل إيديكى
- مين كان يصدق أصلاً كل اللى جرى.. أنا بس خايفه تكونى مغصوبه عالقعده معايا ومش مبسوطه
- ميبقاش قلبك أسود كده يا لبنى.. دا البلد كلها خلعت توبها القديمة.. إشمعنا أنا اللى هتبت فى قديمه.. أكيد هلبس زيها جديد
- والله أنا خايفه بدل ما تلبس جديد تلبس فى حيطة
- ليه بتقولى كده.. دا الكل ايده فى ايد بعضه
- يارتنى أطمن زى حضرتك كده
- أنا عاوزاكى تطمنى على حاجة واحدة بس.. أوعى تفتكرى إن كامل كان ممكن يتخلى عنك.. دا عمره ما عارضنى إلا علشانك.. وقصاد كبرى وعندى قالهالى" إن متجوزتش لبنى مش هتجوز غيرها".. أستغربت هتكونى مين يعنى.. سألت وعرفت ولما شوفتك ومن غير زعل أستغربت أكتر.. قولت دى حتى مالحلاوة مش حلوة.. هو إيه اللى عاجبه فيها!.. إيه اللى يخليه يتمسك بيها للدرجاتى!
- ياه.. هو أنا وحشه أوى كده

- لا يا حبيبتى.. مش قصدى.. أنا بس كان ليا دستور سبع نجوم.. حصرى لسيادتى.. وعلشان أقول عالبنت حلوه لازم تتطابقه ماده ماده.. وبما إن الدستور القديم خلاص بح فالجديد أول سطر فيه أصلك الطيب وجدعنتك
- بس برضه كامل كان سلبى شويه.. يعنى كان ممكن يتصرف بشكل تانى لو كان بيحبنى اد ما بحبه
- بيحبك أكتر ما بتحبيه.. وهو مش سلبى ولا حتى ضعيف إدامى.. هو بس عارف إنى ماليش غيره.. عمرى كله اديتهوله بعد وفاة أبوه وهو ابن تسع سنين.. بقى كل حاجه بالنسبالى.. كامل منعه بره بيا مش أى شئ تانى.. نصيحة يا لبنى متفكريش فى إمبارح.. خليكى فى النهارده.. فى بكره.. فى المستقبل اللى بيستناكم

أستقرت الأوضاع بعض الشئ أو هكذا تخيلوا، وباركت الثورة زواجهما بعدما صار الخصم حكماً.. معها لا عليها.

تستطيع العملة أن تحيا بوجهين.. أما الإنسان فلا.

دوبلير

منذ متى وهى تنتظر، ولا أحد يتذكر ولا شئ يتغير، حتى أحمد وعلى نسياها كأنما ولدا من العدم لا من رحمها، أتمت عامها التانى والأربعين فما نال الزمن من ملامحها قدر ما نال من مشاعرها، أختزل الحزن فصول عمرها لفصل واحد، شتاء دائم لا شئ فيه سوى السكون، لفها الصمت برداء لم تجرؤ يوماً على خلعه.. على إيداعه مدفأتها.. فلربما سرى الدفء لجسدها البارد، تفككت كريات دمها المتجمدة لتبثها الحياة فيعلو صوتها بالصراخ أو ربما بالغناء.. لا تدرى كيف هو البوح بعد طول كتمان.

شارفت الشمعة والتى تتوسط الكعكة الصغيرة على الإنتهاء فسارعت لإطفاءها، يكفيها تلة الدموع المتجمدة حولها، ما عادت ترغب بالمزيد، تجملت وتعطرت، تركت هاتفها المحمول على المنضدة، فقط كان يفصلها عنها تلك الورقة الصغيرة، تطل بطرفها من تحته، أطمأنت لوجود ما يكفيها من مال، ألتقطت مفاتيح سيارتها، أغلقت الباب على ما مضى وخطت بثبات للشارع، رمقتها زوجة الحارس بنظرة أمتزج فيها القلق

بالفضول فما عهدتها تخرج وحدها فى تلك الساعة المتأخرة فأسرعت إليها.

- خير يا مدام فيه حاجة؟
- لا مفيش

أنطلقت بسيارتها غير مكترثة لما تتمتم به شفتيها، أدارت الأسطوانة فامتلأت رئتها برائحة صوت فيروز، كانت أغنيتهما.. لطالما سمعها معًا ولكنه الواجب.. هذا الذى تستسلم له قلوبنا ترفع رايتها البيضاء، يتبارى الكل فى التصفيق وتلهج الألسنة بالمباركة، تخشع أذاننا لهيبة الموقف فلا نكاد نسمع دوى سقوط أرواحنا إلا همساً، توقفت عند محل للزهور، إنتقت باقة من ورد البنفسج يتوسطها عصفور الجنة، ذلك الذى ترك نعيمه مجبراً لا بطلاً ليهاجر لجحيم البشر، بضعة أيام فقط لينتقل من مزهريته لسلة المهملات دون رثاء، أشترت هدية.. دقت الجرس فأستيقظت ذكرياتها، ووقفت بالباب تحمل أشيائها فى إنتظار أن يفتح لها.

- آمال!!
- أزيك يا ماما وحشتينى أوى
- إيه الحاجات دى؟ وإيه اللى أنتى عاملاه فى نفسك ده؟

- النهارده عيد ميلادى ومحبتش أكون لوحدى فى يوم زى ده.
- النهارده يوم ما ماتت أمانى
- قصدك النهارده يوم ما ماتت وموتونى معاها، سنين عدت فى حداد ما بينتهيش
- توأمتك نسيتيها؟
- لا نسيت نفسى مبقيتش عارفاها، علاقتى بيها بقت فى الخفا، إنما فى العلن أنا هى، فرض أبقى صورة طبق الأصل منها
- أنتى إيه اللى جرالك أتجننتى؟
- أتجننت يوم ما رضيت بدور الدوبلير عندك وعند حسن اللى أكيد مقضى سهرته عند أمنية
- بتغيرى من بنته، بنت أختك اللى أتيمت وعمرها تلات سنين.. زعلانه إنه بيحاول يعوضها عن فقدان أمها
- وأنا مين يواسينى يعزينى يعوضنى
- وانتى راح منك إيه نعوضك عنه؟
- راح منى فرحتى، يوم ميلادى بقى ذكرى سنوية، يوم زفافى عالساكت مهمة مقدسة هقوم بيها"بنت أختك

محدش غريب هيربيها"، منكرش إنى كنت راضيه بس الشيله كانت تقيله وأنتم خلتوها أتقل

- أنهى زيطه اللى كنتى عاوزاها وأنهى شيله اللى تقلناها؟
- أمانى كانت دنية حسن وأمنيه محورها، قصة مش بتملوا من تكرارها، إزاى حسن شاف أمانى، وإزاى من أول نظرة حبها، وإزاى أختار اسم البنوته يشبه اسمها، وإزاى وإزاى وإزاى.
- إيه القسوة دى، كنتى عاوزاه لما يتجوزك ينسى أختك!
- لا بس كنت عاوزاه يفتكرنى، ياخد باله إنى موجوده، كنت أم للتلاته إنما هو بس أب لأمنيه، ولا لازم أحمد وعلى يتيتموا علشان يحطهم ضمن حساباته
- أحمدى ربنا إنك عايشه
- أوقات بحس يا أمى انكم مستكترين عليا الحياة، كنت راكبه معاها جنبها.. بس ربنا اختارها، كنت أكتر واحدة بشتاق ليها، جزء من روحى راح معاها.. مع ذلك عاقبتونى
- ياه دحنا طلعنا وحشين أوى

تركتها وذهبت، نادتها لم تجب، هاتفت حسن فردت أمنية، أنزعجت لنبرة جدتها وسؤالها المباشر عن والدها، غادر حسن

على الفور بعدما سردت له ما حدث فبثته قلقلها على إبنتها الثائرة على غير عادتها، أسرع للمنزل فلم يجدها، حاول الإتصال بها فرن هاتفها معلناً وصول بريد تأخر عشرون عامًا "تركتكم أمانى كراهية أما أنا فأترككم طواعية، لن أقول إلى اللقاء فهذا حلم المشتاقين وما عهدتكم تشتاقون إلى".

العين المجردة ترى مرة.. والمجربة ألف مرة.

ربما حان الوقت

اِلتقطت القلم لتخط النهاية، بتوقيع حسدت حروفه على تمردها أعلنت اسما قبولها، راحت تقلب فساتين بلون لا علاقة بينه وبين ما تظنه ينتظرها، ولكنها على كل أمسكت بما حسبته أنسبها، أنشغلت بجمع المساحيق فقد حان وقت إرتداء الأقنعة، كم تمرنت على صنعها بإتقان، ولكن يا ترى مهما بلغت مهارتها فكم سيدوم القناع؟ أنهمكت تعيد تشكيل ملامحها، وبقدر نجاحها فى تجميلها بقدر إخفاقها فى تجميل مشاعرها، بدت كأميرة مصنوعة من شمع لا من لحم ودم، تختر فى دلال وترتفع يدها لترد التحيات. ظهر مازن أكثر وسامة فى يوم العرس، عالرغم من ذلك ظلت عينيه تحمل تلك النظرة الباهته، تذكرت يوم تعارفا فى لقاء عائلى ولم يكن يجمعها شئ سوى الحجرة الجالسين فيها، وفيما عدا ذلك فلكل عالمه. قبل عليها مبتسماً، أمسك بيدها وطبع قبلته عليها، أرتعشت خوفاً لا خجلاً، لذا سرعان ما حررتها لتحتمى بباقة الورود، ولكنها ما كادت تفعل حتى اضُطرت للتخلى عنها، عاد مازن ليحتضنها ويبدأ الرقص، رغم ذلك خفتت حرارتها مما منح قناعها الشمعى حياة أطول، أنتهى العرض وتحررت ثانية إلا من إطار ذهبى رقيق.

شئنا أم أبينا يأتى النهار، مجبرين نحن على إكمال المشوار، أيقظها ضوء لا دفء فيه، وحدها مع دموعها، فى حذر أمسكت بمنديل لتزيل بقايا القناع، وليبدأ عرض جديد لتلك الكذبة التاريخية فيما يسمونه بشهر العسل، وكما أتقنت صنع الأقنعة أتقنت الضغط على آلة التصوير، سجلت يوميات رقدت بسلام بجانب رفيقاتها من صور الزفاف بين طيات ذاك المغلف المألوف. توالت أيام باهته تتكرر بطريقة أتوماتيكية، إلى أن أتى يوم لتتحسس بطنها والذى بدا بحجم أكبر مما أعتادته، لأول مرة تشعر بالدفء منذ زمن، إنه الغد يبشر بقدومه رغم أنف الجميع، طوال تسعة أشهر داومت على مصافحته، مراقبة حركة ذاك النابض الوحيد بجسدها. وحانت ساعة المخاض، سقطت الأقنعة وبدأ العرض الحقيقى... عرض الحياة، علا الصراخ فأمتدت يدها لتربت على القادم الجديد، تلامس بشرته الحريرية وتمسح شعره النابت بالكاد فهدأ فى الحال، تشبسا ببعضهما وكأنما يدعوان الله ألا يكتب عليهم الفراق مهما صارت الأقدار. أزاحت المساحيق ولتذهب للجحيم فقد أشرق وجهها بقدومه، أمسكت المحمول لتلتقط سيلفى، بضغطه منها للوحة المفاتيح وجهت للعالم رسالتها "لا أدفأ من الأمومة لتذيب الشمع لتعيدك من لحم

ودم"، التقطت القلم لتخط البداية، بتوقيع استسلمت حروفه حين أعلنت هى تمردها.

- يا بنتى سيبى آدم شوية.. دا صاحى تشيليه.. نايم فى حضنك وجنبيه.. أنتى بتعملى شغل بيتك أمتى وإزاى؟
- معنديش شغله أهم منه
- وأنتى الصادقه معندكيش شغله غيره.. من يوم ما شرف وأنت إجازة من شغلك وعادى حقك وحقه بس ياريتك بقى مراعيه بيتك وراجلك إلا الواد الواد.. هو محدش غيرك خلف
- إيه يا ماما.. شايله آدم وزاعقه ليه.. أنتى غيرانه منه يا جميلة
- غيرة إيه دأنتى خلتيها خل.. والله لتخربى على نفسك بمخك الممشش ده
- أنتى حد وزك عليا
- ولا حد ولا سبت.. دى حاجة واضحة زى الشمس واللى ميشوفش مالغربال يبقى أعمى
- هو إيه اللى شمس واللى قمر ما كله تمام.. أكل وشرب ونضافة بيت ولا شوية الدلع مستكترينهم على ابنى البكرى.. تحبوا أخدوا قلمين علشان تتبسطوا

- أكل وشرب ونضافة دا لما تكونى مديرة بيت بالأجرة مش زوجة.. وبعدين يا أختى أقسمى الدلع بينه وبين أبوه أحسن ما يبقى ابنك البكرى واخر العنقود
- دلع.. أنتى بتقولى دلع.. لمين يا ماما وهو لا فى شغله لا مع نفسه.. طيب دأنا بأشك إن عنده توحد.. ادى اخرة جواز الصالونات.. هوب فى مفيش تلاقى نفسك قاعدة ادام المأذون
- وهو فيه أحسن منه جواز.. يدخل البيت من بابه ونعرفله أهل وكلامه وإتفاقه يبقى مع رجاله.. ولا عاجبك اللى يدوروا مع بعض سنين والاخر يقولها باى باى"بصراحة مش حاسك ومقدرش أخدعك وأكمل" اسم الله عالمعيلة
- اه.. نسيت إنى بكلم الراعى الرسمى لجواز الصالونات والعائلات والتشريفات
- كفاية فزلكة.. أنتى مش مقدره النعمة اللى أنتى فيها ولا دريانه باخرة تصرفاتك الخايبه
- هو أنا مطلوب منى إيه بالظبط.. أجيبله ورد ولا أولعله شمع
- لا تنفضيله وتولعى فى البيت

- اللى يسمعك يفتكرك بتتكلمى عن كاظم وحوش الرومانسية.. دا مازن يا ماما مازن.. يعنى ساعات ادام الماتش مينطقش ولو الدنيا أتهدت ميتحركش خلص.. لا ما خلصى.. أدخلى بقى عاليوتيوب وهدف إيه وبتاع إيه وهرى بقى لما تكرهى حياتك.. إجازة بقى تلاقيه نايم.. دأنا ساعات بنسى إنه موجود فى البيت
- عندك حق.. أنتى نسيتى إنه موجود.. جايز يوم ما أتجوزتيه مكنتيش تعرفيه كفاية.. خلاص متصغرليش.. مكنتيش تعرفيه خالص.. بس مادام بقى قسمتك ونصيبك يبقى كان لازم تحاولى تعرفيه.. تتحشرى فى كل تفاصيله.. مش يمكن لما تكتشفيه تحبيه
- أكتشفه.. أحبه.. ومن أمتى بقى كان فارق معاكى!!
- من يوم ما بقى أبو ابنك.. آدم يستحق تحاولى علشانه أو بالأحق أنتى تستحقى تحاولى علشانك.. والله إن ما كان بيحبك ما كان صبر عليكى

مر بخاطرها العديد من زيجات صديقتها، تزوجن بتلك الطريقة التى كانت ترغبها، مع ذلك فما منهن من تتمتع بهدوء عائلى، حتى إن بعضهن وصل بهن الأمر للإنفصال، ربما كانت والدتها محقة ووحدها قد تكون المسئولة عن حالة الجفاء بينهما، لأول

مرة تدرك تودده إليها وتجاهلها له، عامان ومازالت طاهية ترسب فى أغلب الأحيان، تمتلئ سلتها بفاقد هائل من محروق وملتوت وكثير من الأوانى والزجاج المكسور، أما الدولاب فنادراً ما تركت قطعة على حالها، تدخلها آلتها السحرية وتعمل على إزرارها بعشوائية.. فإذا بمخرجات لا علاقة لها بالمدخلات لا ألوان ولا قياسات، رغم ذلك لم يسمعها تأنيب أو عتاب، أختارت طبيب لمتابعة حملها فكما الشائع سيكون أمهر ومع كون شقيقته طبيبة نسائية محل ثقة لم يعترض فقط ليشعرها بالطمأنينة، حتى اسم طفلهما طاوعها فى رغبتها رغم العرف السائد لدى عائلتهم بأن يحمل أول حفيد اسم جده، جهزت حجرة المولود بكل ما أشتهت، أبتاعت ما شاءت من ملابس وألعاب.. سرير هزاز وملصقات للجدران، أتهمتها والدتها بالإسراف أما هو فلا، تتابعت عليها المواقف الواحد تلو الآخر ،"ربما حان الوقت لتكتشفه.. أو ربما لتحبه" حدثتها نفسها.

نفضت الغبار عن عزيمتها، غيابه لعشرة أيام فى مأمورية عمل قد يسمح لها بإنجاز الكثير، بعناية رتبت كتبه.. أوراقه.. تركت بصمة نسائية على حجرة مكتبه.. مزهرية.. إطار يحمل صورته حين حصوله على درجة الماجستير.. تلك التى كانت حبيسة لدرج طيلة سبعة أشهر.. أستبدلت أريكته القديمة بأخرى

أكثر أناقة وراحة.. أما حجرتهما فقد حظت بالنصيب الأكبر من التغيير والتدليل وأعتلى سريرهما أخيراً"بوستر" زفافهما، عكفت على متابعة برامج الطهى وتجربة ما يروقها من وصفات، أما لأكثر دهشة فهو مشاهدتها مباريات كرة القدم، أبدًا لم تتحمس يوماً لفريق.. بل حتى لم تكن لتعرف اسماء اللاعبين ولأياً ينتمون، شيئاً فشياً راقتها اللعبة.. تساءلت"لأى الفريقين يميل مازن؟" صدمها جهلها بما يحب وبما يكره. فى المرآة بدت مختلفة ككل شئ، قصت شعرها الجديدة ولونه النارى منحها إطلالة مشرقة.. تمنت لو تمتع القادم بمثله. على عكس المألوف أحست غيابه رغم يوميات آدم ومتاعبه، فتارة يبكى دون سبب واضح لساعات.. وتارة يمرض فجأة ودون مقدمات.. وتارة يرفض الرضاعة أو أياً من وجبات الأطفال. أخيراً أدار مفتاحه فى الباب، نبهتها تلك الأجراس المعلقة خلفه والتى ترتطم ببعضها حال تحركه عند فتحه، لم يستطع إخفاء دهشته من هيئتها بل ومن هيئة كل شئ، تبددت نظرته الباهته.. لمعت عينيه بالفرح وبنبرة صوت مداعبة

- دا بيتنا يا افندم
- اه
- احنا جايلنا ضيوف

- لا
- عندنا مناسبة
- لا
- طيب آدم كويس
- اه
- وأنتى كويسه
- اه
- طيب أنا سخن
- ليه؟
- كل ده وبتسألينى ليه!!
- مش كنت مسافر ورجعت
- طيب مأنا ياما سافرت ورجعت
- بس المره دى غير
- غير ليه؟
- علشان مش بس أنت اللى رجعت.. أنا كمان

الجشع كما الجريمة تماماً.. كلاهما لا يفيد.

زوجة ترانزيت

كعادتها تجلس فى المدرج وحدها، فهى لم تحظى بصداقة واحدة حقيقية رغم أنها فى السنة النهائية، فقط الكثير من الزميلات.. الزميلات فقط، بسيطة فى مظهرها كما فى أفكارها فما أرتادت الجامعة إلا لتضيف ورقة تعزز بها ملف زواجها، لذا لم تعر إهتمام لإختيار نوع دراستها قدر إهتمامها بنوع خامات مفروشات زفافها.

أنهكها إرتياد الأسواق على مدار أربعة أعوام، أنفقت كل ما وسعها إدخاره لشراء مستلزمات الجهاز، هذا الذى أبتلع كل ما طالته يدها ولم يكن ليترك قرشاً واحداً لشراء كتاب.

تجولت هند بين القنوات حتى جذبها مشهد رومانسى فتابعت الفيلم بشغف، لطالما تمنت أن تحظى بقصة حب تُتوج بالزواج، لم يكن لتعتبره أكثر من حلم، فما عايشته حولها من زيجات كان أشبه بإبرام إتفاق تتعهد فيه الفتاة باداء أغلب الواجبات والتغاضى عن معظم الحقوق وإن بدا غير ذلك.. عملاً بمبدأ واحد ارتضاه الجميع.. أقره وراح ضحيته الكثير"بنت الأصول ترضى وتعمر وتعيش".

شاركتها والدتها المشاهدة حتى إذا ما ظهرت البطلة بالفستان الأبيض تراقص حبيبها على أنغام الموسيقى الحالمة علا صوت والدتها بنبرة معاتبه.

- مش لو كنت أتنصحتى شويه كنتى أتخرجتى ايد فيها الشهادة وايد فيها العريس بدل القعدة اللى مش شايفلها اخر دى.
- قعدة إيه.. دأنا يا دوب متخرجة من شهرين، ثم عريس إيه اللى كنت أجيبه دول شوية عيال بيأخدوا مصروفهم من أهاليهم، يعنى اخرهم الكام فسحة اللى فى أول الفيلم إنما الرقصة والفستان حلنى بقى أكون أتحللت وانا مستنياهم.
- أنا خايفه الجهاز اللى متكوم جوه تحت السرير وفوق الدولاب هو اللى يتحلل وأنتى مستنيه اللى جيبه مليان واد الجواز.
- جيبه مليان.. انا بس عاوزاه يجيبلى اربع حيطان متسقفين، ملك بقى ولا إيجار أهو ايدى بايده ويمشى الحال.
- هو احنا بتوع إيجار ولا عندنا بنت بتشتغل بعد الجواز.

- يعنى لازم ملك ولازم يستتنى ويبغددنى.. يبقى مين فينا اللى مستنيه أبو جيب مليان!!

أرخت هند ستائر النافذة فما من شئ يحثها على إنتظار الصباح، بات يومها مشاهد تتكرر فى ملل ورتابة، القليل من الأعمال المنزلية والكثير من المسلسلات وكل هذا يسيرعلى خلفية دعاء والدتها ليل نهار بإن يرزقها بابن الحلال، وزاد الأمر سوءاً بزيارة نجلاء جارتها والتى تصغرها بعامين.

- شوفتى أحلوت إزاى.. الجواز عملها واحدة يتقال بيها ست بجد.
- مهى طول عمرها حلوة!
- لا بس العز برضه.. اللى ما فى صباع من غير خاتم ولا العقد والدلايه اللى مغطيه صدرها.. واللبس دا الشنطه لوحدها تجيب كام ميه.
- يا أمى العز ده مدفوع فاتورته الطاق عشرة، راجل فى سن أبوها وياريته ليها لوحدها إلا بينزل زيارة كل كام شهر يقعد أسبوعين تلاته بالكتير وهوب يأخد الطيارة وعلى بلده وأم عياله.

- وماله المهم مش مخلى فى نفسها حاجة لا هى ولا أهلها.
- ليه هى منفسهاش تبقى أم؟
- ما تبقى حد حايشها!
- اه حاجات كتير.. أن ما كانش جوزها اللى ميلزموش عيال ووجع دماغ يبقى هى.. إيه يضمنها إنه يستمر معاها ميجيش فى مرة يسافر ولا يرجعش تانى ولو حصل تلبس هى فى مشاكل جنسية وإقامة وهم مالوش أول من اخر.
- خلاص بلاها يعنى هما اللى خلفوا خدوا إيه.
- واللى أتصيغوا واتكسوا واتذوقوا هما بقى اللى أخدوا!
- يا أختى بلاش فلسفة فارغة.. بس يارب أشوفك زيها.
- أنا.. مستحيل.

أصبحت نجلاء حديث والدتها وشغلها الشاغل وأخيراً فاجأتهم بزيارة غريبة وطلب أغرب.

- أبو عبدالله نزل إجازة من يومين ومعاه واحد صاحبه مقولكيش راكب حتة عربيه يا لهوى، وأول ما طلب

منى أشوفله عروسه قولت الخير دا كله ميروحش غير لحبيبه ومجاش فى بالى غير هنوده حبيبتى.

بقدر ما بدا الذهول على هند بقدر ما بدا الفرح على والدتها.

- طول عمرك جدعة وتحبى الخير للى منك.
- إيه يا عروسة ساكته ليه؟

جفت الكلمات فى حلقها.. فكيف لها أن تبدى رأيها فى صراحة فتهين الفتاة إضافة لتوجسها من ردة فعل والدتها بعدما رأت من علامات الرضا والإستحسان لديها.

- مكسوفة بقى.. عمومًا هنفكر ونرد عليكى إن شاء الله.
- بس والنبى متتأخريش عليا فى الرد.. أصله مسافر اخر الشهر.

أستاذنت وأنصرفت وانفردت بها والدتها فبدت كقط يستعد لإلتهام وجبته المفضلة لفأر صغير لا حول له ولا قوة.

- إيه الخرس اللى صابك ده.. هو الفرح لجم لسانك؟
- الفرح.. دا الصدمة.
- صدمه.. دا نصفه.. دا بركة دعايا ليكى.

- هى الصفقه بقت نصفه.. بيعه وشروه مش ممكن أقبل بيها ومفيش حاجة كمان تضطرنى ليها.. أنا بس مرضيتش أقول رأيى لنجلاء فى وقتها علشان مجرحهاش.
- ولا هتقوليهولها أبدًا.. وسيبك بقى مالكلام المجعلص اللى لا يودى ولا يجيب.. الشهادة بتاعتك دى ارخص منها مفيش وكمان ولا عادت بتجيب وظيفة ولا بتجيب عريس.. فبلاها بقى النفخة الكدابة.. أنتى تشوفيه وبعدين نتكلم.
- لا مش هأشوفه.. مش هبقى ترانزيت.. هأستنى اللى زيى وابقى عارفه أصله وفصله.
- بس أنا مش هستنى شحات.. كبيره دبلة ومحبس ويمرمطك ويمرمطنا معاه.

حددت والدتها موعد للتعارف والذى تحول أمام العطايا والهبات إلى إتفاق وتم الزفاف بأسرع مما أستوعبه عقلها.

أنقضى شهر العسل وسافر خاتم سليمان وعادت الفتاة أدراجها، سارت الحياة بشكل يبدو طبيعى إلى ان دق بابهم بشكل أنخلع له قلبها، فتحت فكانت نجلاء باكية العين منهارة.

- جرى إيه؟
- أبوعبدالله طلقنى
- ليه؟
- معرفشى.. باتصل بيه مبيردش.. قولت أجيلك تكلمى جوزك يفهم منه الحكاية.. يقوله إنى حامل.

هاتفت هند زوجها وما من رد.. عاودت الإتصال تانياً وثالثاُ.. وعاشراً ليسقط الهاتف من يدها وتنضم للصف.

إنكار الذات على الدوام..

تنازل ضمنى عن كافة الحقوق.. إلتزام كامل بكل الواجبات..

وعلى المتضرر اللجوء للقصاص.. من نفسه بالطبع

سبقها إليه

تطوى الواحدة تلو الأخرى، تجذب إليها الكرسى.. تعتليه، تتشبث بالحائط المجاور.. تستند إليه بكل جسمها، ترفع ذراعيها.. تمدهم قدر إستطاعتها ثم ما تلبث أن تضعهم متراصين البعض فوق الآخر، تهبط بسلام.. تجلس على الفراش.. تتعلق عينيها بالخزانة، طالما حملتها فوق طاقتها.. مثلها تماماً، غمرها إحساس بالإرتياح، منذ أيام أكملت الخامسة والأربعين وكذا الثمن المطلوب ليصبح حلمها واقع ملموس.

فى الصيف القادم لن ترى فى حجرتها هذا الجبل القائم، تلك الذى يوشك أن يصطدم بالسقف أو ربما يهوى عليهم إذا ما أتعبه الكم، ستنتقل لشقتها الجديدة، سيصبح لكلاً من الإبناء غرفته المستقلة، لن يضطر أحدهم لإستخدام خزانتها بعد أن تصبح له خاصته، ربع قرن إذا ما أبتاعت أبسط شئ أضطرت للحسابات ورفع المقاسات، لذا ستطلق العنان لنفسها، ستهتم ببهو الإستقبال، ستقتنى ما تشاء دون النظر لحجمه وما سيشغله من حيز ومكان، فقريباً سيدق الخطاب بابهم يطلبون مصاهرتهم.

- فرصة يا حسين.. يومين إجازة رسمى من عند ربنا.. نستغلهم بقى وننزل نلف عالشقق والحمد لله الفلوس اللى معانا هتجيبلنا اللى يعجبنا وزيادة
- يعنى بدل ما إرتاح أقضيها كعب داير، وبعدين الدنيا كلها إجازة يعنى إحتمال ميكونوش شغالين
- لا أطمن شغالين.. القطاع الخاص مالوش فى دلع الحكومة.. وبعدين عاوزين ننجز بقى دأنا بقالى تلات شهور برتب للنزوله دى وأنت كل مرة تفركش الليلة
- متسربعه على إيه.. وبعدين أنا مش هاين عليا أسيب الشقة اللى فيها كل ذكرياتنا من يوم جوازنا.. العشرة يا إبتسام.. العشرة
- هو احنا هنولع فيها.. هنقفلها ولا نأجرها لحد ما محمد يحتاجها وأهى تمشى الحال لعرايس إنما لعيلة تجيب كرشة نفس.. ولو إنى ميهونش عليا أجوزه فى المدفن ده بس أهو الموجود بقى
- أحمدى ربنا غيرنا بايت على رصيف
- يا سيدى حمداه وشكراه بس ربنا مقالش نضيق على روحنا وبايدنا الوسع وكله من كرمه ورزقه
- ماشى ماشى.. هشوف

- لا هو أنت لسه مش شايف الكراكيب اللى ماليه كل شبر فى البيت.. حتى تحت السراير وفوق الدولاب.. يا راجل بناتك كبروا وبكره يجيلهم الخطاب مش نقيمهم بقى ببيت كبير يساع نسايب وعزايم وأفراح
- حوش حوش الخطاب اللى مكسرين البيبان.. لا أطمنى البنات اليومين دول بيأخدوا وقتهم بزيادة يعنى لسه بدرى
- هننزل يوم الخميس.. علشان خاطرى يا حسين
- ربنا يسهل

ربما الرجال أقل تقديراً لأمور تعنى بشدة النساء، فدائماً ما تشغل المظاهر حيزاً أكبر لديهم، لذا فقد كان دافعها الأول فى الإنتقال لسكن أوسع هو هاجر وإسراء، حان الوقت ليستقلاً بغرفة تتسع لحريتهم، ليسترحن من صخب محمد وصوت ألعابه الصادر من حاسوبه ليل نهار، اثنا عشر عامًا ومنذ رزقها الله بالولد وهى تدخر لهذا السكن، حرمت نفسها دون أسرتها، حتى مصاغ زواجها ضمته أخيراً للمبلغ لتضمن حصولها على ما يقر عينها، أودعه حسين بالمصرف فمن يأمن أن يحتفظ بكل ما يملك من مال فى منزل تكاد نوافذه أن تلامس سطح رصيف الشارع، أيام وينضم مفتاح جديد لميداليتها، ستغلق الباب القديم

على كل ما تكتمته ولم تبح به أبدًا، ستفتح باباً جديداً تأمل أن يخفى خلفه سعادة لها ولأسرتها.

- ما تصحى بقى يا حسين.. خلينا نلحق اليوم من أوله
- نلحقه نعمله إيه يعنى؟
- مش اتفقنا هنروح المشروع اللى عايدة أختى خدت فيه لإبنها.. بتقول ناس موثوق فيهم والتشطيب حلو أوى.. لا والأهم فيه تسليم فورى
- هههه.. فورى دا كروت شحن
- يا رايق ودا وقت هزار.. قوم بقى وأنجز
- مش هقوم يا إبتسام.. وعلشان ده مش وقت الهزار أنا هأقولك الجد
- فى إيه يا حسين؟؟.. نبرة صوتك متريحش
- مالاخر أنا فعلاً أشتريت خلاص الشقة
- ومالله.. مهو كده كده مش هنشترى إلا اللى على مزاجك.. دأنت حتى ريحتنى ماللف وأروح بقى أشوفها عالجاهز ولا الهانم
- الشقة مش ليكم.. دى ليا أنا ومروة
- مروة!!.. مين مروة؟
- مراتى

أستيقظ الجميع على الصراخ الذى ما لبث أن أختفى، سقطت إبتسام مغشياً عليها وسط فزع الأبناء وأب لا يجيبهم سوى بالصمت، حملها للفراش حتى إذا ما أفاقت خرج مسرعاً ليترك الكل فريسة للتساؤلات، كثيراً ما عاشوا خلافات لوالديهم ولكن أبدًا لم تخرج عن تلك المألوف لأى زوجين.

قضت يومها دون طعام وشراب.. دون حوار، بإشارة من يدها رفضت إستدعاء الطبيب، أما هو فلم يظهر سوى فى الصباح التالى.

- أحسن النهارده
- أتجوزت ليه؟
- حرام
- اه حرام
- فى شرع مين
- فى شرع شقايا وتعبى وعمرى وشبابى وصحتى اللى اديتهم ليك
- كلام الحريم اللاسعه اللى بلاونا بيهم فى التلفزيون.. أنتى بتشوفى بتوع حقى ورأسى برأسك وزيى زيك من ورايا يا إبتسام؟

- لا ما كانش عندى وقت أشوفهم لا هما ولا غيرهم.. وقتى كله كنت بأشوف طلباتك أنت وبيتك وعيالك
- زيك زى بقية الحريم
- صحيح.. بس أنت اللى مش زيك زى بقية الرجاله
- لا طولة لسان مش هسمح
- دى مش طولة لسان.. دى طولة حرمان
- حرمان إيه إن شاء الله.. إياك مصومك أنا
- معلوم مصومنى.. عن الكلمة الحلوة والهدية الحلوة والفسحة الحلوة.. وأنا القرش عالقرش والجنيه عالجنيه.. دهبى وفلوس تسوية معاشى كله كله بدل ما توسع بيه علينا وتجهز بناتك وتجوزهم تروح تتجوز بيهم أنت
- والله مأنتى فاهمه حاجة.. ناقصين عقل بصحيح
- لا وحياتك عادمين عقل.. لما ندى كل حاجة للى ميستاهلش أى حاجة
- أهدى بقى وأسمعينى لا تكونى فاكره إنى روحت جبت عيله من دور بناتى وأتجوزتها.. لا دأنتى لو عرفتى ظروفها هتدعيلى

- مش عاوزه أعرف ظروف حد.. كفاية عليا عارفه ظروفى
- إزاى دى هتبقى أختك الصغيرة وعيالها أخوات عيالك.. يعنى هنبقى عيلة واحدة
- يا خيبتك يا إبتسام.. كان ناقصك واحدة بعيالها كمان.. أنتى عاوز تنقطنى
- بعد الشر عنك.. طيب دى بتحبك أوى من كتر ما كلمتها عنك
- بتحبنى.. طيب إزاى!! دأنا نفسى مبحبش نفسى.. بأكرها وإلا مكنتش عملت فيها كده
- طيب قومى كده وبصى فى المرايه.. وربنا قمر أحلى وأصبى من بناتك حتى وأنت تعبانه وزعلانه.. دا مروه تبان أمك ومتجيش فى الحلاوة ربعك بس يتيمه ووحدانية وليها خمسة وتلاتين سنه ولسه مدخلتش دنيا
- قولت بقى تضرب عصفورين بحجر واحد.. تتجوزها وأهو منه تدخلها هى الدنيا وتدخلنى أنا التربة
- لازمته إيه الكلام ده.. والله ما فى حاجة هتتغير
- يعنى هيفضل النكد مستمر بس اللى هيجد عليا وجود الست

- نكد.. هو أنا أقدر أزعلك برضه.. وبعدين فكرى بقلبك الطيب ده.. أفتكرى وأنتى أصغر منها بعشر سنين كان ليكى بيت وراجل وعيال وعايشه حياتك.. سيبيها تأخد نصيبها هى كمان.. متبقيش زى الستات اللى ماليهم الأنانية.. كل واحدة متبته فى راجلها مش عاوزاه إلا ليها وبس وسايبه غيرها للوحدة.. حسوا ببعض شوية
- وأنا مين يحس بيا.. وبعدين هو نصيبها دا عندى أنا بالذات.. يا لهوى.. أنا عاوزه فلوسى
- قولى كده بقى.. عاوزه فلوسك مش عاوزانى.. دا اللى فارق معاكى
- أنت غدرت بيا وخونتنى يا حسين.. أتجوزت من ورايا ويا عالم ليك اد إيه مستغفلنى.. بس على جثتى تقعدها فى شقتى.. دى حقى وحق عيالى
- وأنا منكرتش.. وده دين فى رقبتى وهسده لما ربنا يقدرنى
- نعم دأنت من يوم عشرين فى الشهر بتقول محدش يجيبلى سيرة فلوس.. يبقى هتسد أمتى.. بعد أما أموت
- فلقتينى بقى.. أجيلك كده تجيلى كده.. والله دا اللى عندى واللى تقدرى تعمليه أعمليه

- هدعى عليك يا حسين.. دينك يتسد من صحتك وعافيتك

أتى الشتاء مبكراً فتخلت الخزانة عن حملها.. أما هى فلا، باتت تلازم الفراش أغلب الوقت، فقط تغادره للضرورات، فى غيابه حاول الكل مواساتها، ولكن ذاكرتها المكدسة بتاريخ حافل بالتنازلات أبت أن تصفح.. أن تغفر وتسمح لها بخيانة نفسها.. وبل وإهانتها أيضًا، ليت بإمكانها أن تعيد الكرة، فلربما عاشت حياتها كما ينبغى، أدرجت نفسها ضمن قائمة الأولويات لا المهملات، كم تشعر بالغباء.. فما أدخرت إلا لخائن وغائبة.

هاتفها رقم مجهول، إجابته دون تردد فما عاد هناك ما تهاب

- مدام إبتسام
- اه.. مين حضرتك؟
- مروه
- إيه؟.. مين؟
- حسين فى المستشفى وياريت تيجيله
- وأجيله ليه مالبركة فيكى
- لا أنا ماشيه.. ومش عاوزه منه حاجة، كل واحد بس يروح لحاله فى هدوء ويبقى كتر خيره.
- تروحوا تيجوا وأنا داخلى إيه

- أنت مراته والأولى بيه.. مش أم عياله وعشرة عمره
- تصدقى إكتشاف
- أرجوكى متتأخريش.. الوضع ميتحملش

أعتادت فى السنوات الأخيرة تعرضه لأزمات صحية كثيرة، كانت ممرضته أكثر منها زوجته، تعتنى بغذائه ودواءه، تلازم حجرته طيلة ملازمته للفراش ومن ثم تترك إدارة المنزل لبناتها، أبدًا لم تشكو.. وأبدًا لم يشكر، فكرت أن تغفل المكالمة، تعتبرها لم تكن فما عاد بقدرتها تقديم المزيد.

مرت دقائق ثقيلة لدغها عقربها فأيقظ لديها رغبة شديدة فى رؤيته، مريض.. طريح الفراش.. شهيد إنسانيته الذكورية المزيفة، تلك التى تمنحه الحق فى مساندة أى فتاة فقط بالزواج منها، تقديم مستقبل أسرته قربان لنيل رضائها، لم يكن مؤهلاً للزواج بأخرى ولكنها العنجه والمكابرة، وها هو يدفع ثمنها.

أرتدت ذاك الطاقم الذى أبتاعته مؤخراً، هذا الذى أعدته لساعة إستقبال حلمها، والذى ما لبث أن أكتمل وحانت ساعة مخاضه حتى وأده هو فى الحال بلا رحمة منه أو شفقة، وها هى الفرصة تواتيها لترد له الصاع، لن تعميها تلك المعانى.. العفو.. الأصل.. فما أبتدعوها إلا لتكون حكراً على النساء، أما الرجال

فلا يضيرهم سوى جيوبهم.. وحتى هذه أُقتسمت مؤخراً فيما بينهم.

فى طريقها للمشفى داعبتها شهوة الإنتقام، تلاعبت بخيالاتها، تصورته ملقى ذليلاً وحيداً، غدرت به دميته الجديدة سريعاً، لم تتحمل مرضه أو ربما قبلاً طبعه، لن يرى منها سوى الشماته، ستضحى نظرة التشفى سكين بارد يطعنه مستهزأً بالآمه.

أخيراً وصلت وأستقبلتها مروة بعد أن تعرفا لبعض عن طريق الهاتف، سألتها فى لهفة إصطحابها لغرفته، أجابتها دموعها.. من الأولى أن ينهوا الإجراءات سريعاً إكراماً له فقد سبقها الموت إليه.

قلب المحب يتسع للجميع.. أمَّا الحاقد ففقط للجحيم.

شركاء العرش

شارد أنت منذ الأمس، تهرب منى عيناك، تخاف أن ألمح فيهما فرح طالما أنتظرته، أشتم رائحة إشتياق تستميت فى اخفائه ورغم ذلك يزكم أنفى، خانتك موهبتك فى فن المونتاج، لأول مرة تضيع منك الأحرف، تهرب من شفتيك الكلمات، تنضب أفكارك، تفشل فى إحكام أقاصيصك، يصدأ مقصك فيكف عن الحذف هنا وهناك، وها نحن فى المحطة الأخيرة ورغم ذلك تصم أذنيك عن سماع صافرة النهاية، لا مفر من المواجهة.. فأنا وأنت أمام الحقيقة أقزام.. لا نملك سوى الإذعان.. الإستسلام.. الإعتراف بملإِ إرادتنا.

تظننى غاضبة.. تفترسنى الغيرة.. يأكل الحقد قلبى، فأنا المحرومة من حق طبيعى يتمتع به أغلب من هن من جنسى، تدور حوله أحاديثهن.. يسهبن.. يلعن.. يسبن.. ويتمنين المزيد، سحر من نوع خاص يصيبهن مع أول نبضة لنطفة صغيرة تتحرك فى الأرحام، سحر لا شفاء منه ولا براء، كثيراً ما رغبت فى الصراخ"أصمتن فيكفينى ما بى من جراح".. ولكنى فقط أرغب وفقط أهرب، أنصرف متحججة بموعد مع الطبيب..

صداع مفاجئ ألم بى، بل إننى أفتعل أحياناً مكالمة تستدعى الذهاب على الفور.

فى كهفى البارد أتدثر بألامى، تبدو ملامح الماضى واضحة رغم غمامة الدموع، تتساقط لتروى أوراق أحتضنها، أوراق سُطرت فيها معاناة خمسة عشر عامًا من الكعب الداير، لم أترك باباً إلا وطرقته ولا علاجاً إلا وجربته، يزهر الأمل ثم ما يلبث أن يذبل قبل الأوان فما قُدر لى حصد الثمار، أنتظر من يرسل لى دلواً.. أنتظره حتى وإن شرونى بعده بثمن بخس، يراودنى الإعلان عن نفسى، أعرض.. أتمنع.. ثم ما ألبث أن أهم بجمع بقايا أحلامى.. جل مدخراتى، وأعيد الكرة لأسقط فى البئر كما فى كل مرة.

لا دلو بعد الأربعين.. ذهبوا السيارة بعدما جف نبعى.. وذهبت أنت لتبحث عن غد، ساعتها صرخت.. ثورت.. بكيت.. ولكنك ذهبت، رضخت.. هدئت.. أستسلمت.

مر عام فما وجدت منك سوى مزيد من الحب.. الحنان.. الإهتمام، رجلى أنت الوحيد، حتى ولو شاركنى فيك نساء الأرض، فما لأحد من سلطان على قلبك غيرى، وحده هو سيعتلى عرشه معى.. وحده من يحمل ملامحك.. قسماتك.. لون

بشرتك.. وحده من يقولون إنه يشبهك.. وأنا أحبك وأحب من يشبهك.

بيد حانية تدير رأسه نحوها.. تلتقى عيناهما

- حسن.. نفسى أشوف مصطفى
- بجد.. حقيقى.. يعنى عاوزه تشوفيه
- أكيد.. إيه الغريب فى كده!
- يعنى.. برضه
- أفهم إيه من ردك.. اللى ما قولت جملة واحدة مفيدة
- مأنا خايف أتكلم تفهمينى غلط وتزعلى
- لا يا سيدى.. كله النهارده مقبول منك.. ميهونش عليا أزعلك فى عز فرحك
- يعنى أمان
- فى إيه بقى.. أكنشى بوتاجاز خايف لا يهب فيك.. أيوه يا سيدى أمان.. هفصل نفسى كده من نفسى لو أوفرة
- طب مالأحسن نشيل الكبريت من وش الغاز بدل ما تولع
- ياريت كان ينفع.. بس اللى جرى جرى وعليك بقى بطفاية الحريق.. قايم نايم بيها وخير إن شاء الله
- أهو مش قولتلك هتولع

- لا دا إحتياطى بس.. وبعدين مادام مصطفى منك يبقى واجب يكونلى فيه
- حبيبتى من غير زعل.. مهى مامته ممكن يكونلها رأى تانى
- يعنى إيه.. هتخاف عليه منى.. أمنا الغوله أنا وهأكله مثلاً
- لا بس لازم أمهدلها.. ثم أنتى اللى من أول جوازنا ورافضه يكونلك أى صلة بيها رغم إنها حاولت بس الصد كان من عندك
- وحشه أنا.. تقربلى أبعد عنها.. لا والله المفروض تقاسمنى فى جوزى فأخدها بالحضن
- هو لا تأخديها بالحضن لا تأخديها على صدرك.. دأنتى حتى لما كنتى تقابليها صدفة فى مناسبة وتسلم عليكى تستكترى تردى السلام وتتجاهليها
- غلطانه.. فكرنى أبعتلها جواب شكر لرقتها وحنيتها الزايدة مش بس على جوزى لا دا عليا أنا كمان
- شوفتى هتزعلى.. خلى بقى كل واحد فى حاله.. أنا مش اد شجار ونقار

- أنت بتتلكك.. لأجل عيون المولود أنا هبدأ صفحة جديدة.. هزورها وأباركلها وكمان هأخدلها هدية عليها القيمة
- طول عمرك كبيرة
- نعم؟؟
- كبيرة بتصرفاتك.. وماشى أتفقنا هقولها وأرد عليكى
- هو أنت هتستأذن علشان تروح بيتك!!
- لا طبعاً.. قومى ألبسى ونطب عليها.. خلينا نظبطها متلبسة محتاسه لوحدها بالواد شعرها منكوش وبيتها مقلوب.. يعجبك كده!!
- معلش.. فاتت عليا دى.. قولها بس إياك محن النسوان ميشتغلش وتقولك تعبانه.. لما أمسك نفسى.. خليها عالسبوع
- لا وعلى إيه هكلمها دلوقتى وأقولها جاين بالليل.. بس أمانة عليكى تراجعى نفسك قبل ما أتدبس
- الله يا حسن.. هو أنا عيله.. أنا عاوزه أشوف مصطفى
- طيب وبالنسبة لأمه؟
- اسمها ولاء.. ولا أنت هتستحلاها.. أم الواد.. أم الواد
- هكلمها والله الأمر من قبل ومن بعد

- حسن.. حسن
- نعم
- أمانة عليك متكلمهاش وأنت قاعد جنبى
- عوض عليا يارب

عجزت مشيرة عن تفسير مشاعرها المتضاربة، رغبتها الشديدة فى رؤية مصطفى، فى خلق علاقة قوية بينهما، رضاها عن حسن وإلتماسها جل الأعذار له، حنقها على زوجته، قلقها من ان يصبح وليدها بداية إهمال زوجها لها، إنسحابه من حياتها شيئاً فشيئاً.

فى غرفتها تستعد للزيارة، تحاول جاهدة تعطيل كل أجهزتها الدفاعية، تسأل الله أن تمر الليلة بسلام، أن تنزل سكينته على قلبها، تنزعه غيرة النساء، تودعه حب الوليد، حب لا يشوبه شئ مما يعتمل فى قلوب البشر.. شئ يدعونه المصلحة وما شابهها.

شعرت بثقل مخاوفها وهواجسها فأستندت للحائط وهى تصعد الدرج، بضع دقائق وتضحى فى حضرة غريمتها.. فى أرضها وملعبها.. لتبدأ مباراة أُختُزل مشاهديها فى شخص واحد، قطعاً سيميل قلبه لمن منحته مراده.. وهل كان ليطلب أكثر من مصطفى، أرتجفت حين دس يده فى جيبه فأخرج المفتاح.

- مش واجب ترن الجرس
- مهى عارفه إننا جاين وكلمتها عالموبايل قبل ما ننزل مالبيت
- أتفضلوا.. أتفضلوا.. جيتك على رأسى يا مشيرة.. وربنا دى أكتر زيارة فرحت بيها فى حياتى كلها
- حمدالله على سلامتك يا ولاء ومبروك ما جالك.. يتربى فى عزك وعز أبوه
- وفى عزك وفى حجرك وفى حضنك.. دا مصطفى من حظه إن ليه بدل الأم أمين

نبرة صوتها الحانية.. قسمات وجهها الهادئة..

إنفعالاتها المتزنة.. جعلت كلماتها تنفذ إليها.. تجبرها على تصديقها وربما على محبتها.. بالكاد أستطاعت إبتلاع دموعها.

لم تكمل عامها الثالث والعشرين، سبق وأن تزوجت، فقط ستة أشهر لتعود وفى أحشائها نبتة لم يقدر لها الله الإكتمال، كان حسن أول من دق الباب، شابة صغيرة وجميلة ومضمون قدرتها على الإنجاب، رحبت فى الحال فمثلها لا يملك حق الرفض أو القبول وربما حتى حق التفكير، كانت متواضعة فى مطالبها، لم تسعى أبدًا لجرحها أو إهانتها، بل حاولت التودد إليها مراراً

وتكراراً فلم يزيدها إلا نفوراً وإعراضاً، ربما حان وقت لتنظر لها بعين الرضا لا عين السخط، لتتصالح مع نفسها وترضى بقدرها.

أستأذنت ولاء لبعض الوقت، هم حسن أن يتبعها فأشارت له بأنها أعدت كل شئ، أرادت أن يلازم زوجته طيلة الوقت عله يبدد من غربتها فيذيب ما بينهما من ثلج، لحظات وعادت بضيافة تليق بكبار الزوار.. هكذا علقت مشيرة لتردها مضيفتها "بل تليق بأعز الزوار".

غابت مرة أخرى لتعود به، ناولتها إياه.. مستغرق فى نومه يبدو كملاك، أستجاب الله لدعائها.. أنزل سكينته على قلبها.. نزعه غيرة النساء.. أودعه حب الوليد..

أطلقت العنان لروحها.. أحتضنته وبللت دموعها وجهه.

القيود فى العقول لا العقود.. لذا فالزواج برئ مما تدعون.

عالية بدون نقطة

"ياما أنت كريم يارب" رددت صفية وهى تنهى تلك المكالمة والتى على الأرجح أصابتها بمس فراحت تنادى إبنتها بهستيرية "عالية.. عالية.. عالية"، هرولت عالية على الدرج المؤدى للدور السفلى حيث المطبخ وحجرة الطعام وبهو الإستقبال لتجد والدتها واقفة تلمع عينيها بنظرة لطالما أعتادتها، حان الوقت لإنفجار قنبلة جديدة.. هزة لكيانها وحده الله يعلم وقعها عليها، هذا ما توقعته الفتاة وهى تحدق فى والدتها آملة أن يخيب حدسها.

- جالك عريس حلو أوى.
- عريس ماشى.. مهو أى حد معدى من حقه يجى يعاين إنما حلو وأوى عرفتيها إزاى دى!!
- متقفلهاش من أولها خلى ربنا يصلح حالك.
- يصلحه.. يعنى هو بايظ.. دا كده مش لازمه عريس دا لازمه ميكانيكى.
- أيوه نهرج بقى ونطيره وبعدين نقعد ونحط ايدنا على خدنا.
- لا متقلقيش خالص، احنا هنقف ونحط ايدنا جنبنا.
- خلصنا خلاص نفوق بقى ونركز ورانا شغل كتير.

- يا اختاااااااااى.. هنتسحل تنضيف وتلميع وبعدين ندخل عاللبس والزواق ونختم بهنأكل إيه ونشرب إيه.

اِنتاب المنزل حالة من الهرج والمرج، عكفوا على العمل طوال النهار فبدا لعالية إنها ليلة عيد ينقصها فقط فرحته، من حين لاخر يُعاد السيناريو ذاته.. ينسى الجميع أما هى فلا، جرح يُضاف لسابقيه ينال من روحها.. كرامتها.. كبريائها، بمرور الوقت يضحى ندبة لم تعد مؤلمة ولكنها مستديمة، وبرغم كل شئ مازالت مرحة كعادتها تتمتع بحس فكاهى، تهزأ من مشكلاتها فلعلها أختشت فأختارت غيرها من هواة النكد وما تحسبهم بقليل.

راقبت عالية الساعة المثبته لحائط حجرتها والمزينة بفراشات ملونة الأجنحة، تذكرت يوم أهدتها لها مدرستها تقديراً لتفوقها وهمست لها بكلمات مازالت تطن بأذنها" أنتى يا عاليه فراشة.. أتخلقتى علشان تطيرى تشوفى الدنيا بعينيكى فتفضل ألوانك زاهية وأجنحتك جامدة، أوعى تسمحى لحد يكسر جناحك يحطك فى إطار وعمرك كله تقضيه على جدار"، والليلة يُرفع الستار عن مشهد ليس فيه ما يثير فضولها سوى بطله الجديد، فيا ترى كيف هو بطل الليلة أمِن هواة الطيران أمِن هواة الجدران؟

انتبهت عالية لصوت والدتها تدندن وهى تصعد الدرج المؤدى لحجرة نومها، الجدران... قاربت الساعة على السادسة ومازالت هى على حالها فأسرعت ترتدى ما أنتقته والدتها من ملابس.. تعطرت وأضافت لوجهها كل ما طالته يدها من مساحيق حتى ظنت إنها قد تحتاج لآلة تنقيب إذا ما أرادت أن تلمس سطح بشرتها الطبيعية، بالطبع تم كل شئ تحت إشراف والدتها.. فما عدتها يوماً قادرة على تحمل مسئولية نفسها ورغم ذلك تدفعها دفعاً لتحمل مسئولية أسرة بأكملها أيً كانت ظروفها وطبائعها، وأخيراً نظرت إليها صفية بعين الرضا إذ بدت لها إبنتها على هذه الهيئة أصغر سناً وأكثر جمالاً، وراحت تعبر عن إعجابها فألقت فى وجه الفتاة بواحدة من قذائف الهاون" يباركله اللى عمل الزواق خلا بنت الاتنين وتلاتين بنت اتنين وعشرين"، أجلت عالية دموعها لحين وقت معلوم لديها وردت بسخريتها المعهودة "الاتنين وتلاتين دول يبقوا سنانى يا ماما ولا يكونوش وقعوا وبقوا اتنين وعشرين بحكم السن".

وبحلول المساء كان الجميع فى إنتظار الزيارة الملكية أو هكذا ظنت عالية.. فما أغفلت عائلتها شيئاً لم تهتم له حتى خُيل لها أنهم قد يضعون أصص الورود على جانبى الممر المؤدى لبهو

الإستقبال أو ربما يستبدلون السجاجيد بأخرى حمراء لتليق بإستقبال كبار الزوار.

دق جرس الباب وعلت أصواته فوق دقات قلب عالية، تمنت الفتاة لو أمسكت بمنديل فأزالت هذا القناع عن وجهها وارتدت ملابس بسيطة وأنيقة، ماذا لو بدت كما هى لا كمهرج أنتهى لتوه من فقرته؟ أليس من الطبيعى أن يعيشا فى بيت للزوجية لا بيت للتجميل!!

أستقبل والداها وأخيها أبو الفضل هذا الاسم الذى ما لبثت أن سمعته أول مرة حتى ضحكت حد البكاء.. لا إستهزاءاً منه وإنما سخرية من تلك الرابط بين اسمه وما سيسديه من معروف لها ولعائلتها بأكملها، وهل هناك معروف أكبر من إنقاذها من براثن عنوستها، من منحها صك براءتها فى مجتمع يحاصرها بتساؤلات لا حصر لها ونظرات تتأرجح ما بين الشفقة والإتهام، شفقة بحرمانها من أن تضحى ككل البنات زوجة وأم، وإتهام بأنها لا يعجبها العجب فتدللت حتى أستنفذت فرصها بكبرها.

خرجت صفية متهللة فالشاب يبدو وسيماً ودوداً ومهذباً، صافحها بإستحياء ولم يرفع نظره إليها حتى وإن بادلته الحديث، أحتضنت عالية وهمست لها بفرح"قدمى العصير.. عندك جاهز

فى المطبخ"، لم تنسى أن تلقى نظرة على هندامها لتغادر مطمئنة.

دخلت عالية حاملة الأكواب الباردة، ربما سرى إليها مشاعرها، شخص لم تقع عينيها عليه من قبل مفترض أن يصبح شريكها وأقرب لها إن قدر ذلك.

تكره هذه الفكرة ولكن الكل يحبها، سُطرت من قديم الأزل بحروف من دم الصبيات"دليلك للجواز المتين اللى يعمر ويعيش" لأم ترتر وأم جلجل وأم بم بم ،"اه بم بم لبان زمان" ليتها تحظى ولو بواحدة منه الآن.. تلوكها فينشغل فمها بها، تخاف أن ينفلت لسانها فتقع الواقعة، ولكن أنقرض البم بم بينما بقت مخطوطة أم ترتر.

جلست والصمت يلازمها تتأمل هذا المخلوق الذى أخذ يتفحصها من رأسها وحتى قدميها حتى فأجاءها بكلماته "إزيك يا عالية عاملة إيه"، تعجبت من مناداته لها باسمها دون إن يقرنه حتى بلقب أنسة، أليست غريبة عنه وعلى الغرباء أن ينادونها بلقبها الذى أعتادته "دكتورة عالية" ولذلك ردت عليه بإقتضاب "الحمد لله"، وهنا اِقترح والدها أن يتركوا لهم فرصة للحوار على إنفراد ليتعارفا أكثر، خرجوا على التو مرددين فى نفس واحد"خير إن

شاء الله"، أبهذه البساطة سلام فرد فإنفراد فخير إن شاء الله.. إذن فالله المستعان على ما سيأتى به أبو الفضل.

أعتدل الرجل فى جلسته وأبتسم إبتسامة فبدا لها كالثعلب الماكر والتى طالما شاهدته فى صغرها مرسوماً فى قصص الأطفال، حادثها بهدوء وكأنما يهدهد طفلة دون العاشرة.

- ما شاء الله أنتى جميلة أوى، جوهرة لازم تتصانى تتخبى مالعيون اللى زى الرصاص، دا حتى إسمك يشهد.. يا دوب نقطة وتبقى غالية.

أحست عالية بأن هذه النقطة هى ما سيصيبها ويعجل بأجلها، بأى حق ينوب عنها رجل عمر معرفته بها لا يتجاوز دقائق فى الحفاظ عليها من الأعين، ألم تتكفل هى بذلك منذ شبت!.. ولكن أبو الفضل لم يمهلها وقت لتتمكن منها النقطة حتى إنهال عليها طعناً بإملاءاته ومخططاته لها إذا ما أصبحت زوجته وهو ما يتمناه بالطبع.. فهى تبدو مطيعة وهادئة، وكان على رأس قائمته تخليها عن عملها بمجرد أن تطأ بيته.. ولتتفرغ لرسالتها المباركة ومسيرتها الميمونة إلى جانبه أو ورائه أو حتى تحت قدميه.. حسبما يترائ له فهو أدرى بالصالح والطالح والظاهر والباطن.

صمت أذنها عنه ولم يصدر عنها حرف واحد، أكتفت بهز رأسها من حين لآخر فبدت له راضية، لا تعرف كم مر من وقت حتى أنضمت عائلتها لمجلسهم ثانية فأستأذنت وأنصرفت لحجرتها.
لم يمر سوى دقائق حتى فاجأتهم بوجودها وتعلقت بها الأنظار مشدوهة، وتخلى أبو الفضل عن إبتسامته وبدا كفأر مذعور يبحث عن جحر يسرع بالفرار إليه.
أمسكت عالية بمنديل، أزالت القناع وألقت بتلك العدسات إلى سلة المهملات فأنكشف وجهها الأسمر وعيناها السوداوين، أرتدت بنطال رمادى اللون وكنزة تتداخل فيها وردات البنفسج مع الرمادى وحذاء أرضى يلائم طولها الفارع وإيشارب رقيق يغطى رأسها تدلى على أحد جانبى كنزتها حيث ثبتته بدبوس كُتب عليه" أنا أنا مش حد تانى".

تحررصوتها الذى طالما كان حبيسًا "بابا.. ماما.. حسام.. دا لبسى اللى بحبه وبروح بيه شغلى واللى ممكن أسيبه بس لو أنا اللى قررت ده مش أى حد تانى.. صاحب المعالى أبو الفضل باشا شرفتنا بالزيارة".

إختفى أبو الفضل وكأنه فص ملح إذابته صراحة الفتاة، ونالت عالية جزاءها على ما أقترفت من ذنب فى حق عائلتها.. خاصة

وقد لازمت والدتها الفراش وأمتنعت عن الطعام والشراب وتجنبت معها الحوار وحملها الجميع وزر مرضها.

مرت أيام وما تحسنت صحة والدتها إلى أن دق جرس التليفون لتنفجر قنبلة جديدة تعيد لصفية صحتها.. وعلى عالية اللجوء إلى الله تتضرع إليه ليرحمها من عذابات زواج الصالونات.

ويحدث أن يزهر الشجر فى الخريف.. فما للطبيعة من قانون ثابت.

غنيمة فرد

بعد رحيله اقتسموا التركةَ فيما بينهم، أضافت لحسابها البنكى الكثير ولوحدتها أكثر وأكثر، فى المنزل العامر بالحجرات.. الأثاث.. شتى ألوان الطعام والشراب.. الخالى من السكان.. فقط هى.. يؤنسها صوت التلفاز.. صخب الأوانى والملاعق والأكواب.. وأخيراً ضجيج الشارع.

يدر عليها عملها المال الوفير فلا تكاد تشتهى شئ حتى على الفور تقتنيه، ولكنها ما عادت تشتهى سواها.. العائلة.. أنس حقيقى لا تلك الزائف والذى يستنزف عمرها دون عائد، تنكمش حين تسمع حواراتهم عمن تخطين الثلاثين فما بالها وهى الأربعينية المتواضعة الجمال والأحلام أيضًا، تصم أذنها عن مجتمع يعلنها فظة صريحة، ما من رجل ليرغب بمن فى عمرها.. يدعمهم الأطباء بضآلة فرصتها فى الإنجاب، هكذا ببساطة يسطرون شهادة وفاتها.. لا زواج.. لا أولاد.. فمن أين لهم بكل هذه القسوة!!

- نفسى أعرف أنتى مدياه ريق حلو ومعشماه على إيه؟
- وإيه بس اللى يعيبه؟

- قولى إيه اللى يميزه.. نعدى الشكل ونخلينا فى المضمون.. دا تقيل تقل
- أنتى ليه قارشه ملحته.. ثم الراجل ميعيبوش الهرى ده
- جيبه يعنى.. حتى ده طليقته وعيالها منفضينه أول بأول.. دا مرتبه بيتقص مالخزنة من قبل ما يتليم عليه فى ايده.. يبقى هتاخديه على إيه!!
- يعنى هو اللى هيأخدنى على إيه.. هيفاء وهبى إياك.. دا الحمد لله على كل حال
- لا مش هيفا بس كمان مش عرجا ولا ناقصك ايد ولا رجل
- بس ناقصنى فرع.. عيال تزهر قبل مايدبل جدرى وأفوت الدنيا لا واخده منها ولا سايبه فيها
- يعنى أى راجل والسلام.. المهم تبقى ماما
- يا ستى هو أنا هأخده سوابق لا سمح الله.. دا بس ظروفه ملعبكه وأنا شرحه.. أدعيلى أنتى بس ربنا يتمها على خير وينولنى مرادى
- وهتعملى إيه لو أستغلك.. لا مؤاخذة يعنى خد اللى وراكى واللى إدامك ومش بحبطك ولا حاجة بس

إحتمال ميكونش ليكى فى الخلفة نصيب، ساعتها مين هيسندك بعد قرشك ما يروح

- طيب ما قرشى فى جيبى عاملى إيه يعنى.. الوحدة يا بنتى بتقفل النفس عن كل حاجة فى الدنيا.. لا بيبقى ليكى غرض لا فى لقمة ولا فى هدمه ولا فى فسحه.. فخلينا نتفاءل بالخير علشان نلاقيه.. دا ربنا كريم
- يارب يا منال يفيض عليكى ربنا من عظيم كرمه

كالعادة أجتمعت العائلة مع نهاية الأسبوع، حسمت أمرها فالليلة ستزف لهم نبأ العريس الموعود، ستواجه عاصفة الرفض ممن وعدوا أنفسهم بغنيمة ليست بالقليلة.. عاجلاً أم أجلاً ستؤول لهم، بالطبع لم تكن لتعمم تلك النية ولكنها للأسف قرأتها فى عيون بعضهم حين تهاديهم "شئ تحت الحساب وغداً تأتى البقية".

- فى حد متقدملى
- متقدملك إزاى؟
- زى الناس
- مناسب

- مناسب إيه يا زكريا.. لو كان فيه الخير ما كان رماه الطير.. دا تلاقيه راسم عالقرشين اللى ورثتهم من أبوها
- مش كل الناس بتفكر فى الورث يا يونس.. وأختك مش معيوبه علشان تتأخد بس على مالها
- مش قصدى يا منال يا حبيبتى.. والله أنتى تستاهلى أحسن واحد فى الدنيا.. بس أنتى طيبه وملكيش فى لوع الرجاله اللى الواحد منهم يستلقط البنت المقرشه.. يثبتها بكلمتين وكام شهر وأمك فى العش ولا طارت
- مش أختك اللى تتثبت.. دى عقلها يوزن بلد وأصبر بقى خلينا نفهم منها.. مش يمكن آن الأوان نفرح بيها.. يارب يطمنى عليكى
- متحرمش من حنيتك أبدًا يا زكريا.. هو أصغر منى بتلات سنين
- شوفت أهو أول القصيدة كفر
- وربنا أنت اللى مكفرنا فى عيشتنا.. فى إيه دا النبى عليه الصلاة والسلام كان أصغر مالسيدة خديجة بخمستاشر سنة مش تلاته
- أديك قولت السيدة مش الأنسة
- وتفرق إيه يا حكيم زمانك؟

- سيدة يعنى داقت الجواز وعندها العيال.. إنما أنسة ولا مؤاخذة كمان فايتها القطر تبقى هتموت عليه.. يعنى تدى متأخدش.. تطيع متأمرش
- يا عم حوش الطوب اللى بتحدفنا بيه.. وبعدين بلا قطر بلا باص والجواز مش حرب مين يدى ومين يأخد.. مين يأمر ومين يطيع.. دا سكينه.. مودة.. رحمة.. كملى يا منال وإن قاطعك هأحدفه مالشباك
- بيشتغل معايا.. طيب ومتدين وكان متجوز بس متوفقش وعنده ولدين عايشين فى حضانة أمهم
- وطبعاً ماشطينه وجيبه فاضى ومحتاج اللى يملاه
- لاخر مرة.. إن قاطعتها هأحدفك مالشباك
- أسفين يا ريس زكريا.. خرست أهو
- طبيعى مش هيتخلى عن مسئوليته ناحية ولاده ودى حاجة تزيده مش تقله
- عنده شقة يا منال؟
- اه.. بس فى بيت أهله وعلشان كده أفضل نعيش فى شقتى.. يعنى فيها خصوصية وهبقى على حريتى
- وماله ملكك وأنتى حرة فيه

- حره فيه إزاى يا أخينا.. هو من أولها هيبلطج علينا ويقعد فى شقة أبونا
- كانت شقة أبونا وبقت شقة منال واللى يريحها تعمله
- يريحها.. دا هيهدها ويهدنا معاها
- سيبك مالبومة ده وشوفى هيجى يقابلنى أمتى واللى فيه الخير يقدمه ربنا يا حبيتى
- الله لا يحرمنى منك أبدًا يا زكريا
- هو كله كله لزكريا.. وأنا مفيش حاجه ليا
- الله يهديك يا يونس

فى المساء أختلت بنفسها وبوحدتها، لم يكن يونس بهذه القسوة قبلاً حتى أنضم لثلاثتهم غرباء، فزوجته لم تدخر وسعاً فى معايرتها، وأبدًا لم يكن ليصدها فهى الجميلة التى تصغره باثنا عشر عامًا، لذا فهى تتدلل عليه منذ خطت قدماها بيته، أخيراً أثقل النعاس جفنيها فأستسلمت للنوم محتضنة أحلامها أملة أن يحمل لها الغد فرح طالما أشتاقت إليه.

- وشك منور النهارده.. هو حصل
- اه.. فتحت الموضوع معاهم إمبارح
- وإيه رد فعلهم؟

- زى ما توقعت.. زكريا معايا وفى ضهرى إنما يونس الله يسامحه بقى سمنى بكلامه
- ولا تزعلى نفسك.. بكره يونس لما يشوفك مبسوطة ومرتاحة معايا هيرضى عالجوازة ويباركها
- دا لو كان إنبساطى وراحتى هما اللى شاغلينه
- امال إيه؟
- هو ومراته كانوا حطين فى بطنهم بطيخة صيفى من ناحيتى.. كده كده مسير ورثى يرجعلهم لا وعليه كمان شقى عمرى من شغلى.. وطبعاً حضرتك جيت بوظت كل خططهم.. حولت حلمهم لكابوس
- يا حبيبتى احنا مش عاوزين منهم حاجة.. اديهم اللى يرضيهم.. هو أنا مش هقدر أعيشك
- لا يا ممدوح دا حقى.. هو ومراته اللى طماعين.. ما زكريا أهو لو طال يدينى عينيه ويشوفنى سعيدة والله ميتأخر.. وعمومًا هو مستنيك.. شوف بقى هتبقى جاهز تقابله امتى
- حالاً.. دلوقتى
- يا مجنون

- مجنون.. مجنون.. بس نتجوز.. دأنا بقالى سنه مستنيكى تتجرأى وتفاتحيهم" يا مين يوصلنى لأبوها ولا لأخوها أخطبها.. الحلوة"
- الحلوة.. والنبى أنت كداب
- أنتى اللى فاهمه الحلاوة غلط.. أنتى طيبة أوى يا منال وإن شاء الله هتكون عشرتنا حلوة وجوازتنا كلها بركة علشان نيتنا نعيش ونعمر

دعت الله أن يهدى يونس، إلا يحاول إفساد زواجها سواء بالمبالغة فى شروطه أو بتعمد إهانة ممدوح والتلميح بأن ما دفعه للإرتباط بها مالها.. وفقط مالها.

- أنت شرفتنا يا أستاذ ممدوح
- الله يخليك يا حاج زكريا.. دأنا اللى أتشرفت بنسبكم
- وليه التسرع ده.. مش تستنى لما نأخد وندى ونشوف هنتفق ولا وبعدين تقول نسب
- أنا متفاءل خير يا أستاذ يونس.. وبعدين أنا تحت أمركم فى اللى تطلبوه
- اللى نطلبه نطلبه.. يعنى مفيش فصال

- ما تهدى علينا يا يونس وسيبنى أتكلم مع الراجل بقى.. أقولك أشرب الشاى
- بص يا ابنى.. منال دى أختى الوحيدة وفى غلاوة بناتى واللى يهمنى بس إنك تصونها.. تشيلها فى نن عينك وغير كده اللى يناسب إمكانياتك وهى ترضاه احنا موافقين عليه وربنا يتمملكم بخير.. ها نقرا الفاتحه على كده
- نقراها يا حاج.. إن شاء الله مش هتشوفها فى يوم زعلانه

أحتضنتها رحمة زوجة زكريا، خفق قلبها بشدة للزغاريد التى رجت جدران المنزل.. هذا المشتاق للفرح مثلها تماماً.

مرت أيام وهى تعد للزفاف، شاركها ممدوح إنتقاء كل شئ، لم يدخر وسعاً فى إرضائها، أكتشفته أكثر وأكثر.. مرح.. خفيف الظل لا كما ادّعت صديقتها، ربما ظروفه العائلية هى ما فرضت عليه هذا السمت الظاهرى، ولكن ها هى تعود روحه لطبيعتها بعدما أُطلق سراحها من أسر الخيبات.

جالسة هى على الأريكة، تتوتر ملامحها من حين لآخر، تصم أذنيه بكفيها، تلك الطنين يجعلها على حافة الجنون، لاحظت

رحمة تجهمها، ترددت فى سؤالها عما ألم بها، ولكن حالها اليوم لا يمكن تجاهله

- فيكى إيه يا منال.. هو ممدوح مزعلك؟
- ممدوح.. دا حنية الدنيا فيه
- طيب مالك.. عينيكى مليانه قلق
- بقالى ست شهور ولسه مفيش حاجة
- حاجة إيه؟
- يعنى هتكون إيه.. حمل طبعاً.. متخليكى معايا عالخط
- ما عادى يا بنتى.. لسه بدرى
- لا.. بدرى دى مش لحالتى.. أنا أصلاً واصله متأخر.. ومتأخر أوى كمان
- يا حبيبتى دا رزق ربنا مالوش ميعاد.. يعنى لا فيه بدرى ولا متأخر
- خايفه يا رحمه.. مرعوبه.. إمبارح كنت عازمه ولاده.. لو تشوفيهم وهما حواليه واد إيه مشغول بيهم.. طيب أنا بقى هقدر أشغله بإيه؟
- متفكريش بالطريقه دى.. حبى ولاده وكأنهم ولادك بالظبط.. دا اللى هيخليكى تشغليه وتكسبيه وتكسبيهم كمان

- والله بحبهم أوى.. بس برضه نفسى فى عيل بتاعى.. ملكى
- هيحصل إن شاء الله بس الصبر

تجدد حلم يونس وزوجته فى الحصول على الغنيمة حين تأخر حملها، أما رحمة فقد نقلت لزكريا مخاوف شقيقته، نصحها بإصطحابها للطبيب فربما هى بحاجة لبعض من المساعدة.

- بقولك يا منال.. فيه دكتور شاطر أوى زكريا جاب عنوانه وحجز كمان.. أعملى حسابك هنروحله بكره
- يا حبايبى.. ديما شايلين همى
- هم إيه بس.. هو احنا عندنا أغلى منك
- طيب دعواتك بقى ربنا يجبر بخاطرى ويراضينى
- هيجبر وهيراضيكى وهتقولى رحمة قالت

قبل أن يصف لها الدواء.. أصر على إجراء إختبار للحمل تفادياً لأى آثار قد تضر بالجنين إن قُدر ووُجد، طاوعته رغم عدم إقتناعها، أجرته كتحصيل حاصل فلو كانت تحمل بداخلها ولو ذرة شك لما كانت الآن فى حضرته.

تطلع إليها الطبيب مبتسماُ وهو يلوح بالإختبار وقد تحول للإحمرار، هذا الذى أنتقل لوجهها المتهلل حين شرع فى إدراجها ضمن قائمة متابعى الحمل لا متأخريه.. وليسقط الجميع وليبقى وحده الأمل.. هذا الذى لم يبخل به الله على أحد قط.

العورة جسد امرأة.. فقط فى مجتمع أعور

قضية كتف ماجدة

"العثور على جثة بها سبعة عشر طعنة نافذة لشاب فى العشرينات.. يلقى بزوجته من الطابق السادس بسبب الخلاف على مصاريف الدروس الخصوصية.. سقوط شبكة دعارة تديرها شخصية مرموقة.. إحباط عملية تهريب عشرة الآف قرص مخدر.. ضبط خمسين طن لحوم فاسدة قبل توزيعها على سلسلة مطاعم شهيرة".. طالما أعتادت أن تبدأ صباحها فى العمل بتصفح أخبار الحوادث.

- يا بنتى أرحمينى.. حد يصطبح عالبلاوى
- طبعاً يا نوجه.. دى أحسن وصفة تهونى بيها على نفسك مش بيقولوا" اللى يشوف بلاوى الناس تهون عليه بلوته"
- تصدقى يا ماجدة أنتى بقيتى تقفلينى من أم العيشة بالسواد اللى بتكبيه عليا
- وأنا جايبه حاجة من عندى.. وبعدين أنتى محسسانى إن الدنيا بمبى وأنا اللى جايه عليها.. ما احنا قاعدين لينا عشر سنين اللى عملاناه إمبارح بنعمله النهارده وهنعمله بكره.. كله بيغير علينا.. اللى أتجوزت واللى سافرت واللى مسكت شغله أحسن.. واحنا وشنا فى وش

بعض.. تقوليش حد مسمرنا مكانا لما صدينا من قلة الحركة وطولة الركنه.

- مجوده.. أنتى شربتى قهوتك ولا لسه؟
- لسه.. بتسألى ليه؟
- علشان أعملهالك وبالمرة أحليها بمعلقتين سم فيران
- وعلى إيه تكلفى نفسك.. كفايه تحطى صباعك فيها
- لا دا شكلها هربانه منك خالص النهارده.. عليه العوض فى اليوم.. احنا نأخد إذن ونطفش عالضهر.. نخرج للوسع.. نشم الهوا.. وبالمرة نشترى حاجة روشه للصيف ونتغدى غدوه حلوه.. ويمكن واحنا راجعين يا ستى وبنعدى الشارع تطسك عربية وربنا يتوب عليا منك
- دا بعدك.. على قلبك حتى اخر دقيقة.. حتى اخر العمر يا نوجتى

أنتقت نجوى قميصا بألون ربيعية مبهجة مع بنطال تلجى اللون فى حين أصرت ماجدة على قميص أبيض اللون مع تنوره زهريه.

- يا بنتى الأبيض مينفعش للشغل.. ميعمرش.. هاتى حاجة تتحمل وفرايحى شويه هو أنتى رايحه المدرسه
- أنتى مفيش حاجة أختارها وتعجبك.. دأنا علشان خاطرك هاخدها بيضاويه كى تعادل السوداويه فأصبح رماديه وأنال الرضا
- لا ده أنتى أصبحتى فصيحة.. هاتيها ويارب تتكرمش وتتوسخ وتتبقع
- طب ما تلخصى وتأخدى تولعى فيها
- لا أشبعى بيها.. ويالا نروح نأكل بقى أنا مت
- متستعجليش عالموت.. الخير كتير.. دا خمسين طن لحمه فاسده يعنى أكيد منابنا متحاش
- بت أنتى.. سيبينى أكل بنفس.. هو أنا يعنى بخرج كل يوم
- متعيطيش خلاص.. بهزر معاكى يا جميلة
- متهزريش.. بيقولوا الهزار وحش عالرخمين
- لا والأوحش بقى دفع الحساب وعلشان كده الفاتوره عندك المره دى يا خفيفة
- مهى عندى كل مره.. بس يالا كله بثوابه.. خلصينى بقى هنأكل إيه؟

- بط بالفراخ.. وروما بالحمام
- اه.. قلبى

أثارت دهشتها النظرات المتفحصه فما عهدت نفسها محل إهتمام، يومياً ومنذ سنوات لا تعدو أكثر من طيف يثبت وجوده بتوقيع فى الصباح ومن ثم يستقر فى مقعده حتى موعد الإنصراف، لم تذق طعم الثناء على إنجاز عملها بكفاءة فكان عزاءها التغاضى عن توبيخها إن هى أخطأت من حين لاخر، وهكذا كانت الحاضرة بإستمرار الغائبة دوما.

سبقت ماجدة للمكتب وأنشغلت بقراءة صفحتها المفضلة بالجريدة حتى أستوقفتها ضحكتها المتبوعة بسؤال.

- يخرب بيت عقلك.. أنتى عامله إيه فى نفسك النهارده؟
- حلو الطقم الجديد.. يجنن عليا.. أهو ده اللى ما كانش عاجبك
- عاجب إيه وهباب إيه.. اللى ما حد شافنى إلا وميل عليا وسمعنى كلمتين
- ليه بقى إن شاء الله.. أكونش لابسه بكينى؟
- لا هو سيادتك البكينى فاطط من تحته باللون البمبى المجنون

- والله أنتوا اللى مجانين.. البلوزه كتان تقيل والمسائل متداريه إلا بقى إن كان البشر ماسكين تورشات وعدسات مكبره
- لا هما بس ماسكين فى سيرتك
- يا أختى الواحد بيشتغل ليه سنين لا عمره اخر ورقه ولا عطل مصلحة اللى ما فى حد بل ريقى بكلمة شكرانيه.. اللى واكلهم أوى البمبى.. خلا لسانهم بطاريته تتشحن.. هيافة ستات
- يا ريتها جات عالستات
- نعم!!
- يا بنتى إن كانت الست بعينين الراجل بعشره.. بس قال مؤدبين فمكسوفين يقولولك فقصدونى.. أتسترى يا ماجدة خلى الموضوع يتلم.. أنا قولت الأبيض مش بتاع شغل
- والله ما فى أبيض من أدمغة يهفها اللى يشف.. دا عالم مبتتكسفش..
- مالاخر البسى بادى تحتها
- الجو حر ومش ناقص خنق
- أتخنقى باللبس بدل ما تتخنقى بكلامهم

- حاضر.. بكره ولا أجرى ألبسه حالا بالا
- لا يا ستى خليكى لبكره.. بس متتحركيش مالمكتب النهارده إلا عالمرواح
- يا بنتى متنقطنيش.. أتحرك إيه وأتنيل إيه.. أقول تانى ويارب نستوعب بقى.. احنا اتمسمرنا مكانا لما صدينا من قلة الحركة وطولة الركنه

أنتزعت البادى بغضب من دولاب ملابسها.. ارتدته على مضض وخرجت تضرب الأرض بقدمها.. لم ترغب فى إرتياد سيارة العمل.. فضلت المشى عله يطفئ بعض من النار المشتعله بداخلها.. أنصاعت لأوامرهم وأعلنت السمع والطاعة لإناس بالكاد يعرفون اسمها.. يلقون عليها التحية بحكم المصادفة.. ما عهدت سؤالهم إن تغيبت لمرض وما تحسبهم يلحظون بالأساس غيابها.. فلما إذن الولاء لغرباء لا يعنون لأمرها فى شئ.

- يخرب بيت عقلك.. أنتى عامله إيه فى نفسك النهارده؟
- إيه تانى مأنا مدفيه لوزى ومجبسه جتتى لأجل ما ترتاحوا

- كتفك باين يا مصيبه وتحت باطك.. هو البادى بكت ولا إيه؟
- لا بكم وهولع مالحر.. إلهى يولعوا فى نار جهنم اللى حاشرين مناخيرهم فى اللى مالهمش فيه
- اه فهمت.. حضرتك دا لون بيج فاتح فمدى إيحاء إنه جسمك.. وعلشان كده الدنيا مقلوبه
- إيحاء.. والدنيا أتقلبت.. وربنا احنا مش فى شركة دحنا فى سرايا المجانين.. خلاص بقيت قضيتهم.. كتفى باين ولا متغطى.. يعنى لو خدت عليا لحاف هيتعدل الحال
- مالاخر غيرى البادى بواحد غامق
- البلوزه بيضا يا فالحه لونها هيغير
- خلاص ألبسيه أبيض
- معنديش
- أشترى واحد.. هى معضلة يعنى
- وأغرم فلوس علشان راحتهم
- لا.. هتغرميها علشان راحتك أنتى
- مفيش راحة فى وسط ناس قضيتهم كتف بنت

ابتاعت واحدًا فى طريق عودتها للمنزل.. فى الصباح ارتادت سيارة العمل وسط تحية الجميع بداية من السائق وحتى من لم

تسمع صوتهم من قبل.. بل إن أحداهن دللتها بمجودة.. نحت الجريدة جانباً.. لن يهون عليها شئ اليوم.

- أفرحى يا عروسه أهو جه العريس
- إيه اللى صابك يا نوجه؟
- عارفه محمد صالح زميلنا
- لا معرفوش
- ولا أنا
- بتهزرى سيادتك
- لا والله.. دى مدام سميه قابلتنى الصبح وأتمشت معايا وهاتك يا شعر فى أخلاقك وطاعتك وسمعانك النصيحة.. عاقله مش متكبره ولا عامله حساب لحد.. غطت نفسها أول ما لفتنا نظرها من بعيد لبعيد.. اللى زيها متتسابش.. أنا رشحتها لمحمد وهو ما صدق شبط وقالى كلميها.. خدت إيه أنا بقى مالملون.. دا الأبيض طلع بيقش يا ناصحه
- صح طلعت ناصحه وطوع ومتواضعه علشان بلوزه
- طيب وهتردى عالست أمتى؟
- حالاً

- لا أتقلى امال.. خدى وقتك وشاورى مامتك لا تقول هتموت عالجواز
- لا هرد حالا
- أنتى علقتى مالفرحة ولا إيه.. لا أركزى كده

جذبت درج مكتبها أخرجت ورقة فى بياض قميصها.. وخطت بضع كلمات ثم مدت يدها بها لصديقتها

- إيه ده؟
- الرد
- دا طلب نقل لفرع تانى.. يهون عليكى تسيبينى
- أهو أحسن ما يهون عليا نفسى أسيبها ليكم

البعض يمتلك الذكريات.. والاخر تمتلكه.

لا يزال فى حوزته

ينتقل من واحدة لأخرى.. كلما جذبها جديد أشترته.. تعيد تقييم الكل.. تستغنى عن البعض.. ذاك ما عاد يصلح.. أُستبدل بابه بقلب اخر.. عدا هو.. مُنح بقاءاً أبدياً.. فمهما طرأ فلا يزال فى حوزتها

فى خان الخليلى يجلس هادئاً، يحدق فيها بعينيه وكأنما يستعطفها ألا تتخلى عنه، قابعاً هو منذ زمن تتفحصه الأيدى فى إعجاب ثم ما تلبث أن تعيده لمكانه فور معرفة الثمن، ملابسه المزركشة وشعره الكثيف وإتقان الصانع فى نحت ملامحه رغم دقة حجمه حال دون خروجه للحياة فبقى أسير الخان.

تسمرت أمامه.. لعله يشبهه أو ربما تمنت ذلك.. لذا فليكن محطتها الأخيرة.. بخبرته فك رموز نظراتها.

- شغل عالى أوى.. ميقدروش إلا فنان
- هو مين؟
- الصبى.. حضرتك ليكى بتاع عشر دقايق مركزة نظرك عليه.
- آه.. فعلاً.. فيه حاجة بتشدنى.. منحوت بإحساس

- يبقى من نصيبك وهريحك فى سعره.. ما تسمعينى كلمتك
- مش لما أسمع منك الأول
- ثمانين جنيه بس
- ليه أنت حاسب الإحساس بكام.. بستين جنيه
- دا سعر مخصوص ليكى.. وأتحدى تلاقى حته شبهه عند حد
- هو ميجبش أكتر من عشرين جنيه
- جرى إيه يا مايا.. هو عشرة جنيه ودا يفرق يعنى عن غيره فى إيه.
- صاحبتك جايه علينا أوى يا استاذة.. الحال واقف صحيح والرجل خفيفة بس برضة مترضيلناش الخسارة
- معلش أصل ملك بتشتغل فى التسويق.. وفى البيع والشرا حاميه حبتين.. خليك معايا أنا.. قولت إيه
- لا عشرين.. مش ممكن دا ميجبش نص تمنه
- يبقى ثلاثين ودة آخر كلام
- ماشى.. علشان نستفتح بس.. حكم الرزق بيشح يوم ما نبدأ بالفصال.. حالاً أحطه فى شنطة
- لا بلاش

- اللى يريحك... مبروك عليكى

سبقها لكفها حين امتد إليه، راح يتلمس دفء طالما أشتاق إليه.. فسرت إلى جسدها رعشة حركت الساكن وأيقظت النائم.

- أنتى متبتة عليه كدة ليه متحطيه فى شنطتك
- خليه فى إيدى أحسن.. شكله عاجبنى
- والله أنتى عيله.. تعجبك لعبة وتشبطى فيها وتمشى شايلاها.. أعقلى وأكبرى بقى.
- أكبر آه.. أعقل مأظنش
- فى دى عندك حق.. أنا شوفت اللى غاوى إكسسوار واللى غاوى تابلوهات واللى واللى.. إنما غاوى ميداليات جديدة عليا.. وأنا ليا معاكى بس سنتين غيرتى فيهم اتناشر واحدة
- انتى تبعدى عليا.
- يعنى هحسدهم.. ألا صحيح القديمة بيبقى مصيرها ايه؟
- وأنتى مالك؟
- لا بجد عاوزة أعرف.. علشان خاطرى أتوسل إليكى
- خلاص وأنا أقدر على زعل است مديحة يسرى، صندوق صدف فى دولابى

- الله على الجو التركى والشكمزية الصدف بتاع انَّ نازك والدهب والياقوت والالماظ
- هتسمعى ولا؟
- هخرس خالص
- كل واحدة ليها شهادة ميلاد بكتبها فى بلوك نوت.. يوم ما اشتريتها.. وقصتها وأخيراً يوم ما أستغنيت عن خدمتها والبلوك والميدليات كلهم يرقدوا بسلام داخل الصندوق
- طيب وليه بتعملى فى نفسك كدة يا بنتى؟
- طيب وأنتى ليه بتعملى فى وشك مهرجان ألوان حتى لو نازلة الشارع تشترى بجنيه لبان؟
- مزاجى كدة.. باتبسط كدة
- وأنا كمان.. مزاجى كدة.. باتبسط كدة.. وأهو كل واحد وكيفه.. وخلينى بقى فى رجلى خلاص مش قادرة أدوسي عليها..ماتيجى نشوف قهوة نقعد عليها.. نريح ونأخذ مشروب وبعدين نبقى نكمل اللفة.
- ماشى.. هوديكى قهوة ترجعك خمسين سنة ورا
- طب ما كل حاجة حوالينا مرجعانا خمسين سنة ورا
- طب خدى بالك من الواد زمانه باش فى ايديكى

عالمنضدة خرجت القديمة معاشاً مبكراً.. فما دامت معها أكثر من بضعة أسابيع.. أفلتت المفاتيح.. نحت أحداهم جانباً... وضعته ضمن بقايا أكياس الشاى.. ثم ما لبثت ان تدلى الباقى من الحلقة المتصلة برأس الصبى، أثارها المفتاح ذو الأسنان المتعددة.. اللامع فى سلسلتها دائماً

- مايا.. دا مفتاح خزنة
- يعنى.. بس اشمعنا
- دا بيقفل كام تكة... هى مليانة رزم رزم ولا ايه
- هى مليانة بس مش رزم
- امال لحمة وفراخ
- لا دول تلاقيهم فى فريزر بيتكم
- طب فيها ايه؟
- فيها فيل.
- لا دا تلاقيه فى جنينة الحيوانات
- هى بقت كدة... واحدة بواحدة.. طب مش قايلة
- لا بجد.. عاوزة أعرف.. علشان خاطرى أتوسل إليكى
- أست مديحة يسرى تانى.. يابنتى غيرى
- ماشى أغنيهالك

- أبوس ايدك بلاش .. بس نصيحة اتعالجى.. يعنى بقى مضادات فضول.. مثبطات زنْ.. متهمليش فى نفسك
- حاضر هأخد سيانيد لو طلبتى بس الحقينى.. سنتين واتناشر ميدالية اللى يروح واللى يجى وده على حاله بلمعته بتكاته.. يكونش بتاع الهرم
- تصدقى دى أول مرة أخد بالى انه فعلاً بتاع الهرم
- يا سلام
- آه هو مش الهرم دا مقابر.. ناس حياتهم أنتهت ومستنين يكملوها بشكل معين راسمينه فى خيالهم.. ويا عالم هيطلع حقيقة ولا وهم خلاهم يضيعوا عمرهم يخططوا ويحضّروا ليه.. ونسيوا يعيشوا من كتر إنشغالهم بيه
- أكدب لو قولت فاهمة حاجة.. هو الشاى كان فيه إيه
- لا انا اللى فيا.. خايفة أكون زيهم مستنية وهم مسيطر على كل ذرة فى كيانى
- هو الواد ده من ساعة ما تنحتى ادامه الصبح وأنا قولت وراه حكاية
- هو فيه شبه منه
- من مين؟
- على...

- أول مرة اسمع الاسم ده منك
- يمكن علشان مش بقدر ألاقيله صفة يقبلها الناس حواليا بأتعمد ما أجبش سيرته
- طيب وهو فين.. عمرى حتى ما شوفته
- عرفته أول ما دخلت الكلية أو تقريباً معرفتش غيره فيها وكأنى اكتفيت بيه عن الولاد وحتى البنات.. أتخرجت أنا وهو أتعين معيد
- حلو.. الدنيا ماشية زى الفل
- وهى لو كانت مشيت كان زمانى الأنسة مايا
- إيه كان بيتسلى وأهو يومين وعدوا
- لا طبعاً..على مش كدة خالص.. دا بالعكس خد مامته وراح خطبنى وبابا طبعاً أعترض إنى هعيش معاه فى بيت والدته لأنه فى بداية حياته وميقدرش يجيب شقة
- طفشه يعنى
- لا ضغطت عليه أنا وماما لحد ما وافق.. ولبسنا دبل واتفقنا الجواز يكون بعد الماجستير.. حتى نكون قدرنا نظبط الشقة ونغير عفشها... وبالفعل خلصه بأسرع مما توقعت وعملنا فلوس نقدر نعمل بيها التصليحات.. بس

- آه... بس ساعتها لافت عليه واحدة تانية.. مالهمش أمان يا بنتى
- لا طبعاً علي ميملاش عينه مالدنيا بنت غيرى.. بس مامته اتوفيت ودخل فى حالة إكتئاب.. أصله مكانش ليه غيرها.. كان صعب أوى يتخيل حياته من غير وجودها
- وضاع علي
- لا اللى ضاع شادى يا ست فيروز.. لكن على ربنا بعتله منحة فى اليابان وفرصة طبعاً متتعوضش.. دكتوراة فى تخصص هما معلمينه... يعنى حلم وأتحقق بقدرة قادر...خصوصاً فى سنه كل المنح بتبقى فى بلاد تعبانة
- وسافر ولا إكتئابه منعه
- بالعكس دا جاتله فى وقتها.. هيبعد عن كل حاجة بتفكره بمامته ويأقلم حياته الجديدة على غيابها
- وخلص الدكتوراة
- خلصها من اربع سنين
- طيب متجوزتوش ليه؟
- بابا كان رافض تماماً فكرة سفره لوحده ويسيبنى متعلقة سنين.. اتفق معاه أول ما يضبط أموره هناك يبعتلى

وبصراحة كان مرن جداً فى الحتة دى.. كان مستعد يكتبله عليا غيابى وأسافر له وحدى ونصرف حياتنا بقى بالطريقة اللى تناسبنا

- والله عمى دا راجل مجدع
- آه بس الظروف بقى اللى ما كانتش جدعه خالص، علي قبل سفره سابلى مفتاح شقتهم.. واللى مفترض طبعاً يبقى بيت الزوجية مستقبلاً، أشقر عليها ولما ربنا يأذن أتابع تجهيز عشنا
- ودة طبعا مفتاح الهرم اللى ملازم ميداليتك
- تمام... علي بقى ظروفه مسمحتش يبعتلى وبابا ركبه ستين عفريت وبعد سنتين من السفر كان أبويا فاض بيه الكيل وطفح وأصر على فسخ الخطوبة
- وسى على عمل إيه
- وهيعمل إيه... التذاكر بتاع المنحة رايح فى بدايتها وجاى فى نهايتها.. هيجيب منين علشان ينزل يبوس رأس أبويا يصبر عليه
- لا غلطان أبوكى.. المفروض يصبر عليه ستين سنة دا على أساس إن عمرك عادى يعنى تقضيه فى إنتظار مش باينله أول من أخر

- كأنك بتتكلمى بلسانه هو وماما...كلكم زى بعض مش حاسين بيا
- لا كلنا عاقلين.. وأنتى اللى مش حاسة بغلطك فى حق نفسك.. أنتى بتقولى خلص الدكتوراة من اربع سنين.. ليه منزلش؟؟.. ولا تذكرة العودة أستبدلها بتذكرة سينما
- يا بنتى علي مش بيفوت يوم من غير ما يصبح ويمسى عليا ويطمنى عليه.. هو بس مضى عقد مع شركة عالمية ومعتمدين عليه بشكل غير عادى.. دا حتى أستغنى عن منصبه فى الجامعة هنا وأستقال لأنه مرجعش بعد نهاية المنحة.. أنتى عارفة ظروف البلد
- تصدقى أنتى اللى مستفزة بشكل غير عادى.. دا واحد قطع صلته بكل شئ فى بلده ومستنية يرجع علشان بيقولك"جود مورنينج على جود باى" أنتى عبيطة يا بنتى
- أنتى عمرك ما حبيتى يا ملك
- لا طبعاً حبيت
- مش باين.. لو حبيتى بجد كنتى قدرتى كلامى
- كلامك ده ميتقدرش غير فى العباسية.. مفيش أى حاجة رسمى ما بينكم.. مفيش أى خطوة إيجابية منه.. يبقى مفيش غير أنك أدمنتى انتظاره.. مفتاح وباب وفين

البنى آدم اللى دريان بكل ده.. أنتى إزاى فى البيت سايبينك لنفسك

- مش سايبينى.. كل شوية شجار ونقار علشان عريس.. أسطوانة بقى كل اللى من دورك اتجوزوا.. طيب دى مرة وصلت إن ماما شكت إنى ضربت ورقة عرفى مع علي قبل سفره
- اللى ضربتى فعلاً.. عقلك.. خلتيه فى غيبوبة مش مدرك إن كل شئ بيتغير.. وسى على الله وأعلم دلوقتى مع مين
- مش ممكن.. على إن مش معايا ميبقاش مع غيرى
- ماشى يا ستى.. حاول يصلح الأمور مع باباكى.. يكلمه.. يطمنه.. يقوله هينزل أمتى أو حتى هيبعتلك أمتى
- لا
- يبقى أعمليله بلوك ومش بس من شوية شاشات لا دا من حياتك كلها
- غلطانة إنى حكيتيلك
- آه غلطانة.. لأنى فى الغالب بعد كدا هحتاج علاج اللمرارة

تردد صدى كلمات صديقتها طوال مشوار عودتها... ربما كانت محقة وربما لم يعرف الحب الحقيقى طريق لقلبها من قبل.. فمعه يهبط مؤشر المنطق لأدنى مستوياته بينما يصعد مؤشر الجنون لأعلاها.. مع ذلك لم تنكر تأثرها بحديثها ولو باليسير... أخيراً وصلت المنزل.. أرتجف هاتفها وبصيحة منه أقراءها سلامه برسالة مقتضبة.. تبددت شكوكها وتبخرت مخاوفها بحرارة كلماته فلا زال قلبها فى حوزته كما المفتاح فى حوزتها.

وعندما تذهب فى رحلة اللاعودة فلا داعى لحزم الأمتعة..

فكثير ممن أهملوك سيهتموا بحزمها.

لعبة المطار

حقائب فارغة سرعان ما تمتلئ لترحل ويأتى غيرها، هبوط قلما كان إختيارى.. فلطالما كان الإضطرار هو السمة الغالبة، يعاد ترتيب الأولويات حسب سيناريو يتغير على الدوام، تتشابك الأحداث من هنا وهناك، تخفت اسماء وتلمع أخرى، ما من ثابت فلكل أقصوصة بطلها، تمتزج المشاعر فلا تكاد تميز نكهة الحزن من الفرح والوداع من اللقاء.

أبدًا لم تروقها يوماً لعبة المطار، رغم ذلك أعتادتها.. وشيئاً فشيئاً أحترفتها "كله تحت السيطرة"، خدمة لم تكن بالمتميزة ولكنها مستديمة مهما طرأ من مستجدات، دون كلل أو ملل.. دون نقد أو إعتراض.

دائماً هى بالصالة باقية وإن رغبت بالرحيل، تكسى وجهها بقناع متهالك أضحى يكشف أكثر مما يستر.. ولكن ما من عيون لتبصر!!

تتجول بين القوائم من حين لآخر، كم يؤرقها أن يأتى يوم لتجد من بينها قائمة لذهاب فقط، ذهاب دون عودة، توشك أن تطمئن لولا تلك القائمة والتى لم يحدد لها بعد تاريخ للإقلاع، طُمست

كل البيانات فقط بالكاد ترى أحرف ترتبط ببعضها، دققت النظر فإذا به اسمها.

- يعنى إيه.. خلصت خلاص.. طيب دأنا لسه مدوقتهاش.. معرفتش طعمها
- كله فى علم الله.. محدش فى الدنيا يقدر يقول مين هيعيش ومين هيموت
- بس مفيش حد فى حالتى بيعدى
- مين قال كده.. كتير بيتكتب لهم الشفا
- يمكن.. بس بعد عذاب وأنا سبق وخدت نصيبى منه كامل ومكمل ولا يكنش نصيبى دوبل
- فين إيمانك.. دى أقدار وربنا مبيظلمش حد
- بس بيسيب عبيده يظلموه
- دا بس لحد ما يقابلوه وكل واحد بيأخد حقه
- أدينى هسبقهم لعنده

كانت فى السادسة عشر من عمرها، تبدو كزهرة ربيعية فاتنه، جذبته منذ الوهلة الأولى، عشرون عامًا يمتص رحيقها.. ليس وحده ولكن كل من يمت له أيضًا بصلة، لطالما أنتظرت تلك المنحة الربانية، عسل فيه شفاء لما خلفه عطاء بلا حساب.. بلا

مقابل.. بالمجان، هذا الذى أتى على أخضرها فباتت عجوز فى ذروة شبابها.

- مرفت.. مرفت.. أصحى.. إيه اللى منيمك لمتأخر كده؟
- وأنا المفروض أصحى بدرى ليه؟
- أنتى نسيتى.. أميمة معزومه عندنا النهارده
- قصدك عند مامتك
- ولو أهى عزومة .. وبعدين احنا إيه وماما إيه.. واحد.. فى بيتها يعنى
- أولاً عزومه دى لما تكون من وقت للتانى.. إنما دى تكيه.. عرض مستمر، وثانياً مين اللى خلى كله واحد، أنا.. لا.. هما.. إحتمال.. أنت.. أكيد
- فيكى إيه النهارده!!.. روقى كده وقومى خدى دش وأنزلى.. ماما تلاقيها محتاسه
- قولى يا عصام.. هو لو أنا ولا عيالى اللى احتسنا هنلاقى مين جنبنا؟
- الله وأكبر عليكى.. تحتاسى إيه بس دأنتى ساندە الكل
- يعنى لو سيبتهم يقعوا
- سيبتيهم إزاى؟

- يعنى لو النهارده أعلنت تأميم البيت ده، خليته يعنى زى بتاع بقية خلق الله.. ليه حيطان وسقف وباب.. باب يتفتح حسب الأحوال مش حسب كيف فلانه ومزاج علانه.. وقومت بس بيك وبعيالك ساعتها الكل هيقع
- لا متطليعش فيها بقى.. محدش هيموت
- صح.. أنا بس اللى هموت وكلكم هتعيشوا
- مالك يا حبيبتى؟.. فيكى إيه!!.. عمرك ما كنتى كده
- عمرى أتسرق وأتقسم ادام عينيا وبغبائى حتى منابى أتبرعت بيه.. وبعدين متقولش حبيبتى.. قول المدام.. أم العيال.. إنما حبيبتى.. هتبقى ضعيف وكمان كداب

صدمته كلماتها، بدت كشخص غريب لم يسبق له وأن تعرف إليه، لذا فقد تركها وذهب دون حركة أو حتى إيماءة، فى موقف كهذا صفعة على وجهها هى ردة الفعل المنطقية، ولكنه لم يفعل.. فلطالما أحترف صفعات من نوع اخر.. وجهها لكرامتها على مدارعشرتهم المريرة.

- إيه يا عصام.. الضهر ادن من يجى ساعة ومرفت ما بانتش
- معلش أصلها تعبانه شويه النهارده

- تعبانه!!.. ما كانت زى القرده وليها كام يوم تلبس وتنزل.. تقول مشوار فى السريع وتروح تغطس بالساعات
- ما قولتلك.. تعبانه وبتعمل شوية فحوصات وتحاليل
- هو كل من جاله شوية مغص ولا صداع يجرى هنا وهناك وهاتك يا كع.. هى فلوس حرام
- بس علشان نطمن
- لا أطمن.. ولم ايدك شويه عيالك محتاجين كل قرش.. وبعدين أنت ما روحتش الشغل ليه النهارده
- ماجز.. بريح
- يعنى أنت مأنتخ فى البيت وهى مرنخه فى السرير.. دا باينه يوم أبيض.. رن عليها.. أستعجلها.. أختك هترجع من شغلها علينا مش معقول ما تلاقيش لقمه تاكلها
- نسيت موبايلى عالمكتب.. شوية وهتنزل لوحدها

مرت لحظات وظهرت مرفت مصطحبةً طفليها التوأم، كانت متأنقه على غير عادتها وتحمل حقيبة يتناسب حجمها والغياب لأيام، واصلت نزول الدرج دون أن تتوقف أمام الباب المفتوح دوماً فى وجه الزائرين أو بالأحرى المقيمين والموصد دوماً فى وجه أحلامها، تبعها بخطى حذره

- على فين؟
- على ماما
- كده من نفسك
- لا كده من نفسى
- طيب قولى.. هو أنا عمرى منعتك
- لا.. عمرك ما منعتنى بس بتسيب غيرك يمنعنى
- مش معنى إنى أفوت كلمتين هبل تسوقى فيها.. أنا بس حاسك مش طبيعية.. مش أنتى وعلشان كده عاذرك
- المهم تلاقى اللى يعذرك
- سيبك منى وخلينا فى الهاتف اللى جالك بأمك فجأة كده ومن غير سابق إنذار
- يعنى من ساعة أمينة ما جات مالسفر وروحت سلمت عليها زى الغرب وضحى وسلمى شبطوا فسيبتهم عندها وجريت أنا ألحق التكيه إلا يكون حد ناقصه حاجة، وخد بقى عندك عدى أكتر من أسبوع لا سألت أنت على بناتك ولا سألت أنا على أختى، قولت أخد علاء وعمار ونقضى معاهم كام يوم وأنت كده خفيف خفيف وهتلاقى ألف من يراعيك مادام احنا مش موجودين
- خفيف إيه وتقيل إيه.. وربنا أنتى مخك ضرب

- ضرب.. قسم.. ده اللى عندى.. سلام

جلس على الأريكة.. أستند للحائط وسمح لجفنيه بالإرتخاء، بين عشية وضحاها تغيرت نبرتها.. نظرتها.. باتت قاسية وباردة وما عهدها هكذا من قبل، نبهه صوتها الجهورى

- هو واحدة هتناملى فوق وواحد هيناملى تحت وأنا أتعك
- مرفت مش نايمه
- ومادام صاحية غرقانه فين.. إياك تكون أفتكرت تتزوق
- هى فعلاً أتزوقت وراحت
- راحت فى أنهى داهية
- عند أمها.. خدت العيال وهتقضى كام يوم مع أختها
- وحبكت اليوم ده ولا يكنش حد ناوى يموتلها النهارده
- لا موت ولا حيا.. هى بس عاوزه تشبع من أمينة وحقها برضه دا هى مرة اللى بتجيها مالسنه للسنه
- وأنا أعترضت.. بس أنت عارف الحال
- معلش شوفى حد مالبنات
- البنات!!.. يحرق البنات عالشات عاللى أخترعه.. دا معمولهم بيه عمل.. أكلم الواحدة لا ترد ولا تصد كأنها أطرشت

- خلاص أشمر وأطبخلك أنا
- لا والله
- اه والله.. مادام النسوان مش فاضيين أربط أنا رأسى وأقشر بصل
- لا عنك هقشره أنا.. داهية تأخدهم كلهم
- "وتأخدنى قبلهم" رددها همساً

جاب الشوارع ، حدق فى وجوه البشر، لم يرها بهذا البؤس قط، عجائز فى هيئة الشباب، لربما أشتعلت مشاعرهم شيباً قبل رؤسهم، أستوقفته تلك اللافته الضخمة"معامل الشفاء للأشعة والتحاليل" هذا المكتوب أيضًا على المظروف الملقى عالطاولة منذ ليلة أمس، لعله من قلب السحر على الساحر

- مرفت.. مرفت
- نعم.. فى حاجة نسيتها قبل ما أمشى.. كوباية من غير غسيل.. كرسى من غير تلميع.. قميص من غير مكوى
- لا.. أنتى عملتى إيه عند الدكتور؟
- ياه يا جدع.. أسبوع أجر وأشيل وأروح لوحدى بعيلين.. عينات وإنتظار وقلق وعيون عايطه.. بس هتشوفها إزاى وأنت على طول مرابط جنب اللى

خلفوك.. لب وشاى وضحك وكركره.. إيه القرطاس خلص ولا الشاى برد

- لا.. بلاعة وطفحت
- قول ست وطقت.. طرشقت.. فرقعت
- خليكى عندكم أهو ترتاحى وتريحى.. أنا محقوق إنى أستعنيتك وسألتك
- لا أستعنى أحسن بولادك.. من هنا ورايح الشيله شيلتك والمناب خيره بشره بتاعك.. دا إن كان لسه فى خير.. أنا بح خلاص.. إستقاله
- استقاله من إيه؟
- مالدنيا

الحياة لا تغلق بابها أبدًا.. دائما ما تتركه موارب..

ولكن فقط لمن يتمسك بفرصته لا من يتنازل عنها أمام أول كبوة.

مستصغر الشرر

كم تهوى شكله المتناثر حين يتقاذفه الهواء فيتطاير فى أى إتجاه شاء، إنه الشئ الوحيد لديها الذى يحظى بحريته، لذا لم تسعى أبدًا لتهذيبه.. سواء قصاً أو تمشيطاً.

آثرت درة أن تترك تلك الأدوات لتعمل فيما هو أهم، تمشط ذاكرتها كلما أحست بثقلها، دقيقة هى فى إستعادة التفاصيل، لم تغفل حتى مستصغرها، وكيف لها أن تفعل وقد كانت النار التى ألتهمت حياتها من نتاجها، شرارات هنا وهناك تشتعل من حين لآخر، ربما لتطهرها من آثامها، أو لتبكر بنهاية حكاية قد تكون أشد ألماً إن قُدر لها الإكتمال.

أياً كان باتت تمقت تلك النار، لذا فقد حان الوقت لتطلق العنان لمقصها، أستبدلت غصة الألم بعذابات الفراغ، ونار التفاصيل بنار الإغتراب.

بدت ذاكرتها خاوية على عروشها بعد أن جمعت فى سلتها قصاصات ينوء بحملها أولى العصبة، فمن يحملها عنها، قادر أن يحتويها، ربما هو شاطئ الغرام، هذا الذى يشبهها بصخرته

التى طالما أحتوت قصاصات لعشاق لا حصر لهم، وحده قد يتسع لها ولكن هل يتسع لقصاصاتها؟

سواء إتسع أم لا فما أمامها سواه، فلتجرب حظها علها تستطع أن تلقى بالنرد مرة أخرى فلربما حظيت بفرصة جديدة للحياة.

على رمل الشاطئ جالسة هى، تلقى بنردها فإذا به يطالعها بوجهه، تعيد الكرة وفى كل مرة يتحداها ساخرًا منها، لقد استنفذت كل فرصها وما من مزيد، هذا ما أيقنته مؤخراً.

لفظ البحر قصاصاتها، تفرقت بين أسراب البشر، جفت.. تطايرت.. أخذت تلاحقها.. تجمعها، صنعت منها عقد، أثقلها.. تحملت، أشتد الألم، تحسست موضعه، أنتظرت تحسنه.. لم يكن، ألهبها الإنتظار، فرت للماء تطمع فى لطفه، أنفرط عقدها.. طفا، تابع بصرها حباته، تردد بأذنيها صدى أنشودة طالما كانت تدندن بها"لضمت أيام الإنتظار فى خيط، غزله اتصنع من طرح مية غيط، لفيته عقد حوالين الجيد، حز بجرح الفراق والبين، من خنقته للبحر فريت، شبك بصخره فرط وأمتد الخيط، لفه بطوله عرضه، وفاض يجى شبرين"

خفت الصوت رويدًا رويدًا ثم ما لبث أن أختفى وأختفت هى معه.

- هو جرى إيه؟.. أنتوا مين؟
- أطمنى ماحناش الملايكه.. الأبيض فى أبيض ده علشان حضرتك مشرفانا فى المستشفى.. بقالك أربع أيام معانا
- أربع أيام!!.. مش فاكره حاجة عنهم
- مهو مفيش حاجة علشان تفتكريها.. واضح إنك منمتيش ليكى سنين وجيتى تعوضى اللى فاتك عندنا
- ياريت كنت أقدر أعوض اللى فاتنى
- بلاش والنبى النبرة اللى تقلق دى.. مش كل مرة تسلم الجرة.. إلا هو أنتى ملكيش فى العوم ولا شيطانك وزك على نفسك؟
- معرفشى
- أصل الأخ اللى جابك بيقول إنك كنتى مستسلمه أوى ومش بتبدى أى مقاومة.. يعنى المسألة فيها شبهة إنتحار
- أخ.. جابنى.. مش فاكره

- عمومًا هو بيجى يسأل عليكى كل يوم.. شويه وهو يشرحلك بنفسه.. ويا ريت بقى تركزى وتحاولى تفتكرى تليفون لأهلك علشان نكلمهم
- مفيش داعى
- إزاى!!.. هما مسافرين؟
- تقريباً.. هو أنا ادامى كتير وأخرج؟
- أنتى وجدعنتك.. تصحصحى كده واحنا نروحك على طول

وحدها ما بين الجدران، منذ متى لم تشعر بإهتمام أحدهم.. سؤاله عنها، شغلها منقذها المجهول فباتت تنتظر قدومه أكثر من إنتظارها الشفاء، مرت بضع ساعات لتدق عايدة بابها تعلمها برغبة زائرها اليومى فى الدخول إن لم يكن سيسبب لها حرجاً أو إزعاجاً، رفعت بصرها إليه، تأملت باقة الزهور فى يديه.. نضرة مبتهجة غير أبهة لتلك الذبول الحتمى والذى سوف يودى بها.

- حمدالله عالسلامه ومتعملهاش تانى.. مفيش فى الدنيا حاجة تستاهل تخسرى علشانها حياتك
- ولما تكون خسرتها بالفعل

- يبقى ناوياها تانى.. خدى بالك مش كل مرة هتقابلى واحد مجنون.. عويم نص لبه ومع ذلك نط من غير ما يحسبها
- دا مش تصرف واحد مجنون.. دا تصرف واحد شهم وطبيعى صعب أوى أقابل حد زيه تانى
- بس مش غريبه إنك كنى لوحدك.. يعنى ديما المصيف يحب اللمه وغير كده مش عادى بنت تسافر لحالها كده
- تفتكر اللى أنت شوفتها دى كانت جايه تصيف!!
- لا جايه تخلص من حياتها مش تستمتع بيها.. فعلاً سؤال غبى
- مش قصدى أنا أسفه.. بس أصل أمورى معقدة حبتين وعمومًا شكراً عالورد وعلى كل اللى عملته معايا
- يعنى أمشى.. أروح خلاص.. لا بعد إذنك مش هأسيبك وبعد يومين يجيبونى أتعرف عليكى وكلمتين وأقفل المحضر.. أسلمك لأهلك وبعدها براءة أنا
- براءة.. دأنت كده ناوى على تأبيده
- ليه بس.. أوعى المره الجايه تسيبى جواب إن اللى عملها..... بس أنتى متعرفيش اسمى.. كده أطمنت

- مالناحية دى متقلقش.. وبعدين هو أنت يعنى اللى تعرف اسمى
- اه.. درة.. دى الحاجة الوحيدة اللى كانت فى شنطتك.. كارنيه إشتراك مكتبة قديم واسمك وصورتك فيه
- دأنت كنت متابعنى بقى من قبل مأنزل الميه وإلا إزاى عرفت تربيزتى وشنطتى؟؟
- لا متفهمنيش غلط.. أنا بس كنت الشمسيه اللى جنبك وشلتى معايا وعددنا كبير ولما احتجنا كراسى بزيادة الأخ اللى أجرلنا جاب الفاضى من عندك على أساس إنك لوحدك.. بس كده
- ومالك أتحضيت كده.. بس بجد أنت روحك حلوة وسنك بيضحك ما شاء الله
- لا كله إلا الحسد"قل أعوذ برب الفلق"
- يا سيدى ما قولنا ما شاء الله.. بس بجد جايب منين خلق وصبر تنط وتشيل وتجيب ومش بس كده دأنت مسيبتش الموضوع.. تغطية مستمرة ولا المراسلين
- مأنا مراسل حضرتك والمهنة تحكم
- بجد.. طيب وبتغطى إيه فى مطروح
- بغطى على بلاويها

- بلاوى إيه بس ما كنت اخر فرفشة.. الظاهر إنى حسدتك بجد
- لا خالص.. بس بلد فيها شوية شواطئ مالهمش زى والاخر أسعار نار وخدمة مفيش.. وبعدين سيبك منى وخلينا فيكى أنتى.. رقم أهلك أكلمهم.. نفسى فى البراءة والنبى.. ورايا شغل
- لا مفيش داعى وأنت براءة وأسفة إنى عطلتك وشكراً تانى
- بعته تانى.. بحسى الصحفى أقدر أقولك إن سيادتك بتمرى بمشكلة فى الغالب عاطفية وعليه واقعة مع أهلك
- تقريباً.. بس أنا مش واقعة معاهم ودومتم دأنا كمان واقعة من حساباتهم
- أقدر أعرف ليه ولا أبان حشرى

وقبل أن تجيبه عادت عايدة تستأذنه بالإنصراف فموعد الزيارة قد أنتهى قبل قليل، نظر لساعته فشعر بالإحراج

- أسف تعبتك بالكلام وطولت من غير ما أخد بالى
- بالعكس كلامى معاك ريحنى كتير
- يعنى ممكن أعدى عليكى بكره

- أكيد يا..... إلا صحيح اسمك إيه؟
- معتز.. معتز القاضى

عله يكون قاضيها المنصف بعد تاريخ عامر بالخذلان.. هكذا تأملت، ساورتها الشكوك حول حضوره حين تأخر الوقت، بدا توترها جلياً حتى إن عايدة لاحظت ذلك عند مرورها عليها وسألتها إن كانت ترغب فى إستدعاء الطبيب، فجأة ظهر أمام باب حجرتها المفتوح، تبدلت تعابير وجهها فألتفتت على أثرها ممرضتها لترى الواقف خلفها، على الفور همت بالإنصراف قائلة بنبرة مُتَذَلِّلة "أظن خلاص مفيش داعى للدكتور".

- أفتكرتك مش جاى
- كانت هتفرق معاكى
- يعنى.. مش كان فيه سؤال منك وأنا لسه ما جاوبتوش.. أقله تعرف بدافع فضولك كصحفى
- أو بدافع فضولى كإنسان ممكن أقدر أساعدك
- من زمان مش لاقيه اللى يسمعنى علشان كده عاوزه أحكيلك رغم تأكدى إنك مش هتقدر تساعدنى
- وأنا معاكى لحد ما يطردونى زى إمبارح

- ما كانش عندى أى مشاكل فى حياتى بخلاف العادية طبعاً زى كل الناس، لحد ما قابلته فى الكلية، مش عارفه إزاى قربنا بسرعة كده رغم إن كل واحد منا من دنيا، إحتمال حبى لكسر القوالب.. الخروج عالمألوف والعادى، كان مكافح بيشتغل ويساعد نفسه وأهله كمان، موس مذاكرة مضمون تعيينه بس ظروف وفاة والده لخبطت كل خططنا، بابا بمعارفه عينى فوراً فى وظيفة محترمه، أما حسان قضاها كعب داير وأضطر يقبل بأى حاجة والسلام بس علشان يتجرأ ويجى يخطبنى وفعلاً أول ما حصل طار على بيتنا
- وطبعاً ولع بيتكم أول ما حط رجله فيه
- وأى ولعه.. أنا عمرى ما شوفت بابا بيكلم حد بالإستهزاء ده ولا كأنه على ابن الجناينى اللى جاى يخطب أنجى بنت الباشا
- أكيد الفارق المادى والإجتماعى اللى خلاه يتصرف كده.. وده طبعاً المتوقع فى ظرف زى ده
- يمكن.. بس زى ما تقول الرفض مع اللى فى سنى بيحفز هرمون التمرد.. بينشطه بزيادة.. قال يعنى كبروا ويقدروا يأخدوا قرارتهم بنفسهم ويبقوا ادها

- أوعى تقولى ركبك العند
- ياه.. دأنا ساعتها قلبت الدنيا ومن يومها ولسه مأتعدلتش.. سيبت البيت وغضبت عند عمتى وطلبت منها تضغط على بابا يوافق وإلا هأنتحر
- لا بقى دأنتى من يومك غاويه إنتحار
- شخص خمس سنين ما لفتش نظره بنت غيرى.. حسسنى بجد إنى أميرة ومماليش زى تفتكر هأتخلى عنه ببساطة
- وطبعاً أتكلتى على الله وخربتيها
- عرفت إزاى؟
- من رقدتك فى المستشفى لوحدك.. مش عاوزه فكاكة يعنى
- مقبولة منك
- يا ستى مش قصدى.. أنا طبعى ما أقولش كلمتين جد على بعض
- عمومًا أنت قولت الحقيقة.. أنا فعلاً خربتها.. أتجوزته وبيعت أهلى بسذاجتى علشان وهم دفعت تمنه من عمرى سنين

- ليه هو على.. قصدى حسان قصر معاكى يا سمو الأميرة
- دا قصر رقبتى ادام الكل وعلى يدك كان هيقصر عمرى كمان.. شوفت معاه عقد وكلاكيع الدنيا.. من أول معاملتى مع أهله واللى كان بيتهمنى فيها بالإنزحة ولحد شغلى وخوفه من إنه يقوينى ويخلينى أفكر أسيبه ففضل ورايا لحد ما سيبته أو بالأصح هما اللى فسخوا عقدهم معايا
- ما يمكن حس بإنك ندمانه على جوازك منه وتضحيتك بأهلك علشانه فعمل كده علشان ما يخسركيش وده لأنه بيحبك
- مش هنكر إنى بمجرد ما أتجوزنا وأهلى قاطعونى حسيت بوحدة كرهتنى فى حسان.. هو صحيح مش حرضنى عليهم بس كمان لا منعنى ولا نصحنى
- مش قادر أتعاطف معاكى.. بالعكس أنتى أساءتى للكل بما فيهم حسان.. الحكاية كلها كده كانت عند فى عند من بنت مدلعه وحابه تحس بنفسها وملهاش أى علاقة بالحب
- متقلقش هو خد حقه تالت ومتلت

- إزاى؟
- حضرتك بعد الثورة كان من أول اللى أستغنوا عن خدماتهم.. وتخيل بقى ضيقة الفلوس لما تضاف لضيقة الخلق.. إهانة تلاقى.. شتيمة تلاقى.. ضرب تلاقى
- معقول.. فينه الحب!!
- مأنت قولت الحكاية ملهاش أى علاقة بالحب.. بس برضه هو أتصرف وجاب فلوس
- لقى شغل تانى؟
- لا المره دى الشغل هو اللى لقاه
- مش فاهم؟
- يعنى اللى زيه مشروع بلطجى مضمون نجاحه.. محتاج ومحبط وبعدين هو جته وصحه ويعجبك أوى
- بتهزرى
- ياريت كان ليا نفس.. وبعدين أنا بأتكلم عن تجربة.. طيب دأنا ياما نجيت منه بأعجوبة وعلشان كده قولت أموت نفسى بنفسى وأهو يبقى بيدى لا بيد حسان
- فكر برضه.. طيب حيث إننا فى لحظة فضفضه ممكن أسال أنتى ليه مجبتيش سيرة ولاد رغم جوازكم لسنين
- حملت مرة.. بس بيبى إيه اللى يتحمل اللى كنت فيه

- كنتى!.. هو أنتى أتجرأتى وطلبتى منه الطلاق
- طبعاً لا.. جات من عند ربنا.. مات أو بالأدق أتقتل
- وده مين اللى عملها؟
- فى شغلته دى متسألش ليه وإزاى و مين لأنها النهاية المنطقية
- وطبعاً رجعتى لأهلك
- اه وجابولى حاجة حلوة.. إيه البساطه دى!!
- ماللى كنتوا مختلفين عليه راح
- بس راحت معاه حاجات كتير.. سمعة أهلى وسيرتهم اللى بسببى بقت على كل لسان
- جربتى؟
- أنت بتحلم
- وماله هو فيه أحلى مالأحلام.. أنا بقول تجربى ومش هتخسرى أكتر ماللى خسرتيه
- ماليش عين أكلمهم
- أكلمهم أنا
- أنا بس عاوزاهم يسامحونى وساعتها بس هقدر أبدا من جديد
- فاكره عنوان بيتكم ولا

- فاكره.. فاكره
- طيب هاتى ما عندك وربنا يقدم ما فيه الخير

سبقها السائق يحمل حقائبها لسيارة والدها، همست درة لقاضيها.. هذا الذى لازمها طيلة محنتها حتى تخطتها فبات الأقرب إليها.

- أنت شربت بابا إيه؟
- ولا أى حاجة.. بس فهمته إن عندك مرض خطير وأيامك معدودة
- وبعدين هبقى أتصرف إزاى؟
- محلوله.. قضيها إنتحار يعنى عادتك ولا هتشتريها
- أتكلم جد شويه بقى
- الجد ما كانش هيخلينى أشوف البسمة اللى ماليه وشك دلوقت

ليست الدنيا بالضيقة.. فربما وحدك من يراها خلال ثقب.

نشوة البداية

لا تذكر كم مضى من وقت لم تنظر فى المرآة، لم تلمح عقارب الساعة وهى تجرى مسرعة تسابق نفسها وتسابق بعضها، منذ متى لم تعد تطالع النتيجة أو تكترث لنزع أوراق ما مضى.. فأشباحه تطل عليها من كل ورقة مما بقى، جف القلم فما من جديد ليخطه، واقع أشبه بحلم وحلم أشبه بكابوس.. وكابوس يطاردها يعاد كل ليلة بنفس شخوصه وأحداثه وتفاصيله، بقايا أحبة وشظايا فراق ومفترق طرق وعليها الاختيار.. واختارت الفرار.. ليس لأنه طوق النجاة ولكنه ربما يأتى بجديد تحت شمسها، حتى وإن كان فى الجديد هلاكها فلا بأس فقد سأمت رتابة حياتها.

إنها البدايات ومالها من سحر خاص يسرى فى أجسادنا كمخدر، فلا نشعر سوى بالنشوة فنغض البصرعن كل حقيقة ونصم الأذن عن كل نصيحة، تعلو أصواتنا بالجدل فتتبت هوة تفصلنا عمن حولنا ويتسلل إلينا البرد رغم حرارة الجو، تتغير ملامحنا حتى نصبح بالكاد نعرف أنفسنا.

"غداً بداية جديدة" تلك كان عزمها قبل أن تخلد للنوم فى انتظار صباح تأمل أن يمنحها شهادة ميلاد جديدة.

شارفت أن تكمل الأربعين، لن يتصور رجل وقع هذه الكلمة على امرأة... الأربعين حيث يقام حفل تأبين لأنوثتها، حتى وإن أصرت على الاحتفاظ بشبابها ونضارتها.. نعتوها بالمتصابية ليضاف هماً إلى همها، ولكن تلك المتمردة القابعة بداخلها.. والتى أستيقظت لتوها بعد عقود من السبات.. الطموحة.. المتطلعة دوماً للسماء لا للأرض التى يحيا عليها الناس، قررت أن تهدم أسوار العزلة لتخرج للحياة.. تفعل كل ما قد يسعدها وحرمت منه نفسها دون مبررات، وما العيب فى أن تفعل ما يحلو لها مادامت لا تضر غيرها؟.. غيرها ممن يخطون مسارها.. ستتعلم ركوب الدراجة وتطير بها ليملأ الهواء النقى رئتها، أمنية قد تبدو بسيطة ولكن عندها ذات قيمة.. حال بينها وبين تحقيقها فى صباها كونها فتاة، ستأخذ دروس البيانو أكثر الأصوات ملامسة لقلبها، ستكمل دراستها العليا لتصبح طالبة وزميلة لمن فى عمر ابنها.. ومن ثم ستبدأعملها الخاص.. ستجازف بكل ما أدخرت فرشفة واحدة من السعادة تستحق المجازفة، فلتسقط كل القوانين وتتكسر كل الحواجز، لا وقت للتراجع فقد تمكن المخدر من كل خلايا جسدها، تطلعت للسماء

وهى محتضنه أحلامها ترشف من السعادة وتدعو فى سرها أن تدوم نشوة البداية.

جالت ببصرها فى المدرج وأبتسمت فى رضا، ليست وحدها.. كثر هم من يأملون فى بداية جديدة مثلها، ممن لا يعيرون إهتمام لما تحويه الأوراق من تواريخ ميلاد، خطت نحوها فى رشاقة فراشة مادة يدها مصافحة.

- مساء الخير.. بثينه.. وحضرتك
- نبيلة
- مخضوضة ليه، شكلك جايه من بعيد أوى" قالتها مداعبة"
- لا أنا بينى وبين الكلية مفيش نص ساعة
- هههههه.. مش قصدى سكنك.. قصدى بعيدة عن جو الدراسة والمدرجات وكده
- اه.. يبقى أعتبرينى جايه من أبعد مكان فى الدنيا
- أنا بقى يا بلبله قدمت السنه اللى فاتت ومعديتش وربنا يسهل بقى المره دى وأعدى

لاحظت دهشتها من لهجتها الحميمية وكأنهم معرفة عمر لا بضع دقائق فواصلت حديثها

- أول ما دخلتى حسيتك شبهى، نفس توهتى.. نظرة القلق والأمل.. حد باين إنه جامد بس من جواه طفل خايف.. كنت ساعتها محتاجه اللى يطمنى.. يأخد بايدى.. يونسنى
- أنتى تسيبك من دبلومة التخطيط وأدخلى على دبلومة تنمية بشرية
- مش قولتلك شبهى.. أديكى أندمجتى.. يبقى نعيد التعارف.. بسبوس.. وأنتى
- بلبله.. لسه خارجه مالقفص.. رغم ريشها القصير ووزنها التقيل برضه بتحاول تطير

جلستا متجاورتين وساد الهدوء بمجرد دخول المحاضر.. والذى ما أن وضع حقيبته وفتحها ليخرج منها بعض الأوراق حتى تبعه عامل راح يقنن وضع السبورة و"البريجيكتور"، وبمجرد أن أنتهى وخرج مغلقاً الباب خلفه ألتفت إليهم مرحباً.

- أهلاً بيكم.. الملتحقين بالدراسات العليا زملاء قبل ما يكونوا طلاب.. ولذلك أى ملاحظة على أسلوب عرض المادة العلمية مرحب بيها، المهم المعلومة توصلكم..

بأتمنى للكل النجاح والتوفيق.. على فكرة بثينه ومحمد دفعتى.. منورين يا شباب

بدأ دكتور راشد فى الشرح بطريقة مبسطة، رغم ذلك أحست بصداع أفقدها التركيز.. فكرت فى الإنصراف ومنعها الإحراج، وما أن أنتهت المحاضرة حتى أنفجرت بسبوس فى الضحك.

- أراهن إنك فصلتى بعد أول ربع ساعة، وتلاقيكى يا عينى عندك صداع ودوار.. متقلقيش يا بنتى دى أعراض طبيعية جداً للصحيان بعد طول نوم.. ورايا أعزمك على فنجان قهوة هيصلح ما أفسده... إلا صحيح ديما أسال نفسى هو مين اللى أفسده؟

لحظتها شاب لهجتها نبرة حزن فصمتت تم سرعان ما عادت إليها حماستها

- باب القفص مفتوح يالا نطير يا بلبله

منذ أعوام لم تحظى برفقة، أعادت إليها الجلسة.. الكتب التى تملأ حقيبتها.. الحوار المرح بعضاً من حيويتها وأيضًا ذكرياتها.

كانت الحياة شبه مثالية، هو.. هى.. طفلهما.. وكأنما أُختزنت الأحزان لتأتيها مرة واحدة.. مفاجأة.. لم تأخذها بها رأفة ولا رحمة، تعرفت إليه يوم تعرفت لنفسها، أهداها قصصه.. كتبه.. ألوانه.. ألعابه وعلى رأسها دراجته الزرقاء والتى لم يكن ليجرؤ أحداً من أخواته حتى ليجربها، ساندها حتى أحترفت قيادتها، أنطلقا حتى تشبعت رئتيهما بالهواء وقلبهما بالحب، يكبرها سناً بسبع سنوات ميلادية وعقلًا بسبع سنوات ضوئية أو هكذا خُيل لها، فما سألته عن شئ إلا وأجاب.. بل وأحياناً ما يجيب قبل السؤال، يقرأه فى عينيها وكأنما كُشف عنه الحجاب، بهاء.. حبيبها.

- بلبله بلبله.. بلبله
- هه
- ياه دأنا وقعت مع بلبله تايهه مش عارفلها عش تحط عليه
- العش كان موجود دفيان بونيس وفرخ صغير بالفرحة ماليه
- وبعدين!!
- وبعدين أنا هموت مالنعس.. عاوزه أناااااام

- شربتى قهوة وهتنامى.. ماشى بكمالة الجدعنة أوصلك.. عارفه العش ولا هقضى الليلة بلف
- أطمنى.. مفيش حاجة هتلف الليلادى إلا دماغى

فى العش صور حبيسة الأطر، وأرواح تحتلها تجبرها على التعبد فى محرابها، لأول مرة على مر سنوات وليالى لا تحصى عددها تتحرر منها تذهب فى سبات عميق.

أخف هى هذا الصباح، تحممت وقفزت للميزان.. لم تخسر من وزنها شيئاً.. ربما خسرت شيئاً آخر.. الكابوس، تناولت إفطارها، أرتدت بنطالاً فضفاضاً وقميص وردى من القطن وأخيراً أنتعلت حذاء رياضى، فى الغرفة المهجورة أزاحت الغطاء عن الدراجة، أصابتها رجفة أختطفت نفسها منها فى لحظة، فى طريقها للنادى كانت تطبق عليها بكلتا يديها وكأنها حديثة عهد بقيادتها، شابها إحساس القلق فغائب هو من كان يمسك بها دوماً.

لفظت رئتها هواء أفسده حصار هى من فرضته على نفسها قبل غيرها، أستبدلته بآخر بكر يليق ببداية، أختطفه الموت بعد زواج أو بالأحرى بعد جنة سكنتها ست سنوات، هبطت بعدها وابنها للأرض، باؤا بغضب من عائلته وضُربت عليهم الذلة والمسكنة،

أنهم البشر لا الله.. هؤلاء من لا يعرفون الغفران مهما تلقوا من كلمات، فما من مجال للتوبة.

ملعونة تلك الوجبة.. أحضرها ليتناولها عند وصوله من العمل عصراً إذ كانت هى بصدد أخر إختبارات البكالوريوس.. لم يقدر الله له النجاة.. بعدها لم تتناول لحماً قط أياً كان مصدره.. ليس خوفاً من الموت ولكن خوفاً على أشرف.. عاملها والداه وكأنها الجانى لا المجنى عليه، دفنت أحلامها معه وأحتضنت فقط ثمرته.. يتيم لم يكمل الخامسة بعد.. ما أن أتم دراسته الثانوية حتى أصرا جده على إستكمال تعليمه الجامعى بالخارج، تحجج بأن المستوى العلمى أفضل بكثير، أفصحت نظراته عن مكنونه، أراد أن يحرمها ولدها كما حرمته ولده.. لم يكن ظنه وحده.. فلهذا أطمأنت نفوسهم جميعاً، فهناك من سيصبون عليه جم غضبهم.. يشبعونه مرارة حزنهم، ربتت يد على كتفها أعادتها لنفسها.

- نبيلة فينك من زمان.. وإيه اللوك الجامد ده
- وهروح فيكى فين يا سميرة.. وحشتينى عامله إيه مع الدنيا
- مدوخاها.. كل ما تطق فى رأسى حاجة أجربها فيها

- وبعدين؟
- لا هى أخرى التجربة.. البداية كلها حماسة.. شمعة فلة منورة.. بس الشمعة مبتعمرش بتسيح وتطفى ويادوب بأطلع بالفلة.. بس برضه كام يوم وأبدأ من جديد.
- نصيحة غيرى الشمعة، موضتها بطلت.. دورى على حاجة يدوم نورها.. حاجة مش هتلاقيها غير جواكى.. جواكى وبس.. وكفياكى فل بقى
- طيب ما تيجى نلف مع بعض شويه وندور سوا

قضت النهار مع سميرة وبعض من أصدقائها القدامى، أستأذنت بعد تناول الغداء على وعد لقاءهم بحفلة موسيقية بالأوبرا فى نهاية الأسبوع، ركبت دراجتها.. أنطلقت بها وقد أفلتت يدها، أسرعت للبيت تستبدل ملابسها تتوق لرؤية بسبوس وسماع دكتور راشد، هاتفها أشرف وهى فى الطريق.

- أزيك يا ماما.. وحشتينى أوى
- وأنت أكتر يا حبيبى.. عامل إيه فى دراستك
- أول مرة تسألينى عن دراستى.. هو سؤال واحد ديما.. هترجع أمتى؟
- زعلت!!

- بالعكس أول مرة صوتك يبقى بيضحك مش خانقاه الدموع.. ربنا يفرحك ديماً يا أمى
- ويوفقك ديماً يا حبيبى.. إنما أنت هترجع أمتى؟

أنتهت المكالمة بضحكاتهم..

إذا أردتَ معاقبة امرأة..

فقط اتْرُكها لبنات جنسها ومن ثم سيتكفلن بأمرها وزيادة.

وعد ومنكوث

- يا اختى عشنا وشوفنا واحدة تسيب جوزها وعيالها وتروح تعمل فيها عروسة من أول وجديد.
- قلة أدب، حريم تستاهل قطم رقبتها.

لم يبخلا عليها بأيٍّ من النعات، آثرت الصمت واستندت لزجاج النافذة، تلاحقت الصور إلى ذاكرتى بسرعة تنافس القطار اللاهث، فاطمة فى زيها المدرسى، فتاة فى الثامنة عشرة من عمرها، جميلة الملامح، رقيقة المشاعر، هادئة.. لا تغادر الإبتسامة وجهها،

"مستر" مجدى بمظهره الكلاسيكى الأنيق وجديته التى تتخلى عنه فقط فى حضرتها، نصنع دائرة بالطبع هو على رأسها، يختلس النظر إليها أياً كان موقعها منه، يمينه.. يساره أو حتى مباشرة أمامه، يكسو الفرح صوته حين يوجه إليها الحديث، وتلمع عينيه حين تجيبه.

- أشوفكم بعد بكره هنعمل مراجعة محدش يغيب.
- بس دى ليلة الإمتحان يا مستر.

- لازم أطمن عليكم، إن شاء الله كل واحدة فيكم تدخل الكلية اللى بتتمناها.
- نفسى أبقى مدرسة إنجليزى شاطرة زيك.
- وتعملى رأسك برأسى يا ست تقى، ماشى أنا راضى ربنا ينولهالك، وأنتى يا فاطمة منفسكيش تبقى زيى؟
- وهو فيه حد زيك، حضرتك أشطر مستر فى الدنيا.

أنوار وزينات، فاطمة فى ثوب وردى، يحتضن مجدى كفها بقوة وكأنما هناك من يتربص به ليأخذها منه عنوة، نصنع دائرة على رأسها الحبيبين، يلف أصبعها بخاتم رقيق، ينعكس لون فستانها على بشرتها الخالية من المساحيق، يردد الجمع "حلوة يا واد وصغيرة تملى عليك المندرة، حلوة يا واد وبيضا تملى عليك الأوضة".

أصر على أن تكون الخطبة شهرين لا أكثر، ولما الإنتظار وبيته لا ينقصه سوى العروس.

- يا ابنى هى نفسها تدخل الجامعة.
- وأنا عمرى ما هخلى حاجة فى نفسها، هتختار الكلية اللى تعجبها وأنا معاها لحد ما تاخد شهادتها.

- بس هى عاوزه الصيدلة، يعنى المشوار طويل ووارد طبعاً فى الفترة دى يكون ربنا رزقكم بأطفال.
- تحت أى ظرف أوعدك هتاخد شهادتها.
- عالبركة ربنا يتمم بخير.
- يبقى نكتب يا عمى علشان خروجنا ميبقاش عليه حرج.

كان يلازمها كظلها من مكتب التنسيق للكشف الطبى وحتى إستكمال أوراقها بالكلية وحصولها على الكارنيه، وتم الزفاف بعد إن اِطمانت لالتحاقها بما كانت تتمناه، دللها حد بدت كطفلته لا زوجته، أستدارت بطنها وزادها الحمل جمال حتى خُيل له أن القادم أنثى، تمنى لو كانت تشبهها، فدائماً ما يشغلنا ظاهرنا.

تغير مجدى بعد أن وضعت، أصبح يلومها على كل شئ، إذا ما هدهدت على لينام أتهمها بإفساده"دا هيطلع راجل مايص ابن أمه"، تساءلت كيف يُربى الرجال.. أتنهره إذا ما بكى وهو مازال رضيع لم يتجاوز شهره الخامس، تتركه لوالدتها وتذهب لكليتها يتهمها بالإهمال "تسيبيه لأمك وهو فى العمر ده، طب ترضعه إيه.. فته"، أليس برجل، ألا يليق به أإن يدبر أمره، يعتمد على نفسه فى الحصول على قوته، فليأكل ويهضم حتى وإن أطعموه الزلط.

حفر الشجار طريقه لبيتهم، نثر ذراته فى كل ركن، تحملت.. حاولت إرضاءه.. ولكنه عزم وحان الوقت ليفصح لها عما أنتوى.

- فاطمة الكلية دى شغلها كتير ومشوارها طويل.
- قصدك إيه؟
- أنتى لازم تحولى لإنتساب.
- إنتساب!!هى صيدلة فيها إنتساب؟
- طبعاً هتحولى لكلية تانية، نقول مثلاً آداب، وأهو حتى أقدر أساعدك مالبيت.
- مقدرشى.
- يعنى إيه؟
- يعنى مقدرشى أكمل غير فى الحاجة اللى أخترتها وتعبت علشان أوصلها، ومأظنش إنى قصرت فى أى من مسئولياتى.
- لبس وخروج كل يوم ومسئولياتك، يا شيخة راعينا شوية.

اِحتد النقاش بينهما وباتت فاطمة دامعة، فى الصباح أستيقظت لتجده خرج مبكراً عن موعده، مرت ساعة ودق الباب.. كانت والدتها.

- مجدى جالى قبل ما يروح الشغل، أسمعى كلام جوزك يا بنتى.
- ووعده.
- ياه.. مفيش أشطر مالخطاب فى الوعود وساعة الجد بيبقى يحنن.
- بس دا كان بيحبنى أوى، كل همه يشوفنى مبسوطة.
- ولسه بيحبك يا عبيطة، بس معذور، جميلة وأصغر منه باتناشر سنة وبيأكل فى روحه كل يوم وأنتى فى وسط اللى من دورك.
- غيرة يعنى!
- دا هيموت مالغيرة حتى من إبنه اللى أول ما تيجى من بره تجرى عليه.

اِستسلمت فاطمة، لم تجد من يساندها حتى والدها وافق أمها الرأى"متخربيش بيتك بإيدك"، أستدارت بطنها وزادها الحمل إكتئاباً، لم ترد طفل آخر ولكنه أراد، لم ترغب فى دراسة أخرى

ولكنه رغب، أضحت مؤدياً للدور الذى يوافق هواه، تعيش السيناريو الذى يختاره لها.. تلك هى الحقيقة، رغم ذلك لم تكن لتنكر تحسن علاقتهما بعدما أعلنت السمع والطاعة.

عادت الأمور لأسوء مما كانت عليه بعد قدوم عمر، أمرها فأجابت، تركت الجامعة وتكفلت بمواساة نفسها" مفيش أشطر مالخطاب فى الوعود وساعة الجد بيبقى يحنن".

انشغل مجدى أكثر بعدما أفتتح مركَزًا للدروس الخصوصية، لم يعد لديه وقت ليدللها أو حتى ليشاكلها.. فقط يأبى أن تخرج دون رفقته فباتت لا ترى الشارع لأسابيع متتالية.

- عشر سنين محدش سقط من تلامذته إلا أنا، سقط فى كل حاجة مع جوزى مع عيالى حتى سقط فى العلام.

قالتها فى زيارتى لها منذ عامين، خاضت فى كثير من التفاصيل المؤلمة، لم تكن سوى شبح لفاطمة، من تكفل بإطفاء لمعة عينيها.. بإتعاسها إلى هذا الحد، طوال الوقت كانت تغالب دموعها فتغلبها.. تسقط رغماً عنها.

- غلطانة مجدى بيحبك، اختارك من دون عشرات البنات، وولادك ما شاء الله زى الورد مفيش أحسن

منهم، والشهادة بيخدوها ويبروزوها أو يتبهدلوا لحد ما يلاقوا شغل بيها، يا بنتى دأنا بقعد فى القطر أكتر ما بقعد فى بيتنا رايح جاى على ملاليم، انتى ناجحة وزى الفل.

- الناجحين سعدا وأنا تعيسة.

لم أشأ أن أخبرها بما سمعت من شقيقتى، وما يتناقله زملاءها عن علاقة مجدى بتقى تلميذته سابقاً وشريكته فى المركز الجديد حالياً.. وربما فى أشياء أخرى وما تثيره تلك العلاقة من شكوك حولهما، لذا لم يفاجأنى خبر طلاقها.. فقط فاجأنى دهشة الجميع لزواجها بآخر.. لإستعادتها نفسها.. فهل كان عليها أن تستسلم دائماً وأبدًا.

ورحمته وسعت كل شئ.. أما البشر فلا تتسع حتى لأنفسهم.

ولأنه أكرم بكثير

"معلش أتحمليه شوية" قالتها للفتاة الجالسة إلى جواره بنبرة أقرب للبكاء، أرادت الهروب من نظراتها.. خوف كانت.. شفقة أو اشمئزاز فأشاحت بوجهها بإتجاه النافذة، سابقت أشباح الأمس أشجار الطريق.. احتلت ذاكرتها.. أحكمت عليها السيطرة بفعل الأعمدة المضاءة فقط على جانبى فصى مخها.

- ربنا عوضنا خير، كلها شهر ويحيى يرجع يملى تانى علينا البيت
- يحيى لا.. هنسميه محمد
- ليه؟.. خلى اسمه عايش بينا على طول
- بلاش.. سيب الجرح يبرد، وبعدين بيقولوا دا فال مش حلو
- مين اللى بيقولوا.
- مامتك وأختك، "مادام واحد راح يبقى راح اسمه معاه ولو سميتى أخوه باسمه هيأخد نصيبه ويكتبله مصيره"
- يا سلام.. عمومًا يا ستى أنا مش ادكم اللى تشوفوه اعملوه
- يبقى محمد وأظنه اسم ميختلفش عليه اتنين

فارقها يحيى فى سن الثلاث سنوات، أصابته حمى، ليلة واحدة وأنقضى الأمر، رضيت بقضاءه وطمعت فى جبرانه، عامان دون حمل صابرة على تقلبات زوجها بعد كل زيارة لوالدته.

- ما تشوفى حل يا بنتى.. هو أنتى قولتى مرة وربطى على كده
- دعواتك يا أمى
- بأدعيلك.. هو أنا منفسيش أشيل عيل لابنى.. بس على رأى المثل "أسعى يا عبد وأنا أسعى معاك" وأنتى باركه مكانك
- ده أنا مخلتش، دا الإيجار اللى بيجى من ورث بابا اللى يرحمه رايح كله عالدكاتره
- هههههه دكاتره!!.. وبتوع الورقة والقلم دول يجوا من وراهم خير دول عليهم خراب البيت.. أشعة وتحاليل وما أعرف إيه ومدرك إيه.. بلا وكسه
- يعنى أروح لمنجد.." قالتها مداعبة محاولة تخفيف حدة حديثها"
- لا ما قولتلك مليون مرة.. تروحى للشيخ زينهم، تلاقى حد عاملك عمل يقطع الخلف، حكم أحمد ابنى كان نص بنات العيلة عينها منه

- بس هو بقى كان عينه منى أنا وبس.. وبعدين يا أمى مأنا خلفت قبل كده بس أمر ربنا بقى
- ماعترضناش ولا حاجة.. بس أهو كان وبح خلاص.. واديكم داخلين عليا فاضين لا شايلين ولا جارين

تنقضى بعدها أيام وهو ساهم يرمقها بنظرات مزيج من اللوم والغضب.. العتاب والضجر..

تُرى هل يراها مقصرة كوالدته؟..

جاهدة تحاول إرضاءه.. تسريته.. تدليله برغم أنها الأكثر حاجة لكل ذلك.

وأخيراً من الله عليها دون تدخل زينهم وشاكلته، ويوم جأها المخاض تبعها للمشفى جمع من الأهل، عم الهرج المكان رغم إتمام الأمر بسلام، وفجأة تحولت حجرتها لسرادق عزاء، للحظة ظنت ان وليدها قد مات.. وليته كان.. فلربما كان رحمة له من رحلة معاناة نهايتها شبه محسومه، فمثله ممن يعانون حالته تنقضى سنوات طفولتهم بين مراكز التأهيل وعيادات العلاج الطبيعى إلى أن يحين الأجل مع بداية سنوات المراهقة، هذا ما نما لعلمها بعدما أصبحت زبونة مستديمة على تلك المقار.

وحدها تتكبد عبء حمله مع كرسيه فى المواصلات.. وتتكبد أكثر عبء النظرات، هجرها أحمد، تزوج وأقام فى منزل عائلته.

- "مهو خبطتين فى الراس يوجعوا يا مديحة، واحد مات والتانى عيان.. هيعملك إيه قدمك نحس.. سيبيه بقى يشوف حاله وكفايه الهم اللى شافه معاكى"، قالت والدته وكأنها تخاطب حجر لا بشر.

سبع سنوات عجاف أنفقت فيها جل ميراثها على علاج ولدها، وبرغم ما يزعمه الناس ويؤكده الأطباء من عدم جدوى تعبها إلا إنها تنتظر نهاية سعيدة.. تنصفها..

تعوضها، ليس لأنها تستحق.. ولكن لأن الله أكرم بكثير من أن يتخلى عنها كالجميع.

وكما الولادة المبكرة فهناك أيضًا الوفاة..

الأولى قهرية أما الثانية فقهر.

ونادى المنادى

سترها الله معها.. فعلى مدى عامين لم تتلقى نبأ أحدهم وهى فى العمل.. منذ يومهما الأول أنجذب كلاً منهما للآخر.. صحيح لم تواتى أمجد الشجاعة لمصارحتها بمشاعره إلا بعد مضى عام.. إلا إن نغم أطمأنت لتوانيه فى إعلان حبه.. فهو ما يعنى لها تأكده من صدق مشاعره.. بادلته عاطفته بعاطفة أكبر.. كانت حريصة على معرفة أدق تفاصيله.. ما يسعده وما يزعجه ولو كان حتى إيماءة أو إشارة.. أخيراً تُوجت العلاقة بشكل رسمى.. حفل عائلى صغير وإطار أحاط قلبها كما أصبعها.. بعدها أمتد إهتمامها لكل من يعنيه أمرهم.. والديه وشقيقته الصغرى.. باتت صديقتها المقربة.. ترافقها إن أرادت التبضع.. وتصطحبها للتنزه إن هى رغبت ببعض الترفيه وكسر الروتين.. أضحت أيقونة سعادتهم والزوجة المنشودة لإبنهم البكرى.

- الحمد لله يا حسين.. أنا لو كنت لفيت الدنيا بدل المرة عشرة مكنتش هلاقى زى نغم.. بنت ليا وأخت لجيهان.. طب دأنا بحس إنها أتولدت فى وسطنا.. عارفه طبعنا ومراضيه الكل.. ولا شوفتها مرة معكرة ولا مرة مكشرة.. بسمتها مش بتفارقها.. دى بركة دعايا لإبنى.

- صحيح البنت متتعيبش لاهى ولا أهلها.. ناس يفهموا فى الأصول بحق.. احنا كمان عاوزين نشد حيلنا ونتمم جوازهم بسرعة.. والفرح وشهر العسل هدية منى بعون الله.. يختاروا على كيفهم.. اللى يعجبهم ما كلوا ليهم فى الأول وفى الاخر.
- إيه رأيك نعزمهم على فطار أول يوم رمضان.. وفرصة نغم تبص عالشقة ولو ليها تعديل أهو نلحق نعمله قبل الدهانات الأخيرة.
- دا أقل واجب يا حاجة.. وبعدين هو رمضان يحلا غير بلمة الحبايب.. ربنا يعيده عالجميع بخير.

ارتفع الآذان وألتف الجميع حول المائدة العامرة بألوان الطعام.. لم تدخر زينب وسعاً فى إكرام ضيفتها وقريباً فرداً من أسرتها.. علت إبتسامة الرضا شفتى أمجد.. طمأنته علاقتهم الجيدة.. وعدته إن ينعم بحياة زوجية هادئة فكل على ما يرام.. دق هاتف والدته فأهملت نداءه إذ كانت منشغلة بضيوفها.. ألح الطالب بتكرار المحاولة فأضطرت لإجابته.

- أزيك يا فريال.. كل سنة وأنتى طيبه.. يعيده علينا بخير يا حبيبتى

- يارب يا زينب
- مالك صوتك مغير ليه؟
- أصل فى خبر كده عكننى من قبل المغرب بس قولت أستنى لما تفطرى وأقولك
- خير قلقيتنى.. جرى إيه؟
- ألفت بنت سميرة
- مالها؟
- تعيشى أنتى
- يا لهوى.. دى عيله
- عمرها كده.. احنا لينا فى نفسنا حاجة.. وعمومًا الخارجه فى العشا بعد صلاة التراويح.. هتيجى؟
- عندى نسايب أمجد ومقدرش أسيبهم.. وبصراحة كمان مقدرشى أتحمل موقف زى ده.. أنتى عارفه جنازة شابه راحت فجأة هتبقى نار.. هروح بكره إن كان لينا عمر
- ماشى.. اللى تشوفيه.. ربنا يصبر أمها وما يورينا حاجة وحشه فى ولادنا أبدًا
- أمين يارب.. مع السلامه يا حبيبتى

عادت للغرفة وقد بللت الدموع وجنتيها.. فهرع إليها الجميع فزعين.

- خير يا حاجة.. بتبكى ليه؟.. حصل إيه؟
- ألفت.. ألفت اللى حضرت خطوبتك يا نغم وملت الدنيا رقص وضحك وتنطيط ماتت.. مش قادره أستوعب ولا أصدق والله

شخصت الأبصار لما أصاب نغم، بدت كنوبة قلبية.. أرتعاش لجسدها وعرق متصبب بغزارة، هرع أمجد إليها.. وأسرع والده فى إحضار السيارة لحملها للمشفى، فى حين تسمر والديها فلم يبديا أى ردة فعل.. وكأن المشهد مألوف وليس هناك ما يدعو للقلق!!.. مع ذلك لم يعترضوا على الذهاب للطبيب، وانتهى الأمر بسلام.. لم يستغرق أكثر من عشرون دقيقة وما لبثت ان عادت الفتاة لطبيعتها وكأن شيئاً لم يحدث.

اِعتقدت أسرة خطيبها من أن ما يحدث لها لم يكن سوى فرط إحساسها ورقة مشاعرها، أنزعجوا قليلاً ولكنهم لم يحملوا الموقف أكثر مما ينبغى، حادثة عابرة وأنقضت.

أدت الحاجة زينب واجب العزاء فى اليوم التالى وألتقت فريال وصديقتها عظيمة

- زعلت إمبارح إنى نكدت عليكى وأنتى عازمة عروسة ابنك
- النكد الحقيقى كان بعد ما بلغتينى
- ليه كفى الله الشر.. جرى إيه؟
- نغم.. راحت منا واتخضينا عليها.. وهوب بقينا نجرى ورا بعضنا.. البنت مأتحملتش الخبر.. أصلها طيب والحنية مالية قلبها على القريب والبعيد
- هو أنتى عروسة ابنك تبقى نغم بنت الحاج سيد المصرى
- وأنتى تعرفيها منين؟
- إلا أعرفها.. هو كان فى حد من الجيران ميعرفهاش
- قلقتينى.. هو فى إن فى الموضوع ولا إيه؟
- ولا إن ولا كان.. أنا بس كنت ساكنة جنبهم من قيمة خمس سنين، والبنت يا عين امها كل ما تسمع حد مات عاللى يصيبها، تفتكريها هتموت خلاص، وكانت أمها الله يعينها ترقع بالصوت..بس مع الوقت أتعودت.

- يعنى ايه مش فاهمة.. هى ملبوسة ولا ممسوسة ولا إيه بالظبط.
- لا أبدًا.. احنا كنا فاكرين زيك كدة فى الأول بس الدكاترة قالوا دى حاجة نفسية
- نفسية.. يا مصيبتى.. مجنونة ولا إيه؟
- لا يا حاجة زينب، حد جاب سيرة الجنون.. هو بس شوية تعب، كلنا معرضين.. طيب والله أنا كنت فكراها طابت، الشابة مفيش زيها ربنا يشفيها.

عادت للمنزل بالكاد تحملها قدماها، مفاجأة أو بالأحرى فاجعة لم تكن لتخطر لها على بال، حمداً لله إن أنكشف الأمر قبل الزفاف

- ألحقنى يا عبد المجيد
- مالك يا حاجة.. متعمليش فى نفسك كده.. متعظمش عاللى خالقها.. ربنا يجعلها من أهل الجنة.
- يا أخويا جنة ربنا فسح تساعها.. إنما نار البنى آدمين اللى أتكتبت علينا.. هودى وشى من الناس فين.. وهسد ودانى فى الرايحة والجاية من إيه ولا من إيه.
- نارإيه وودان إيه... بعد الشر عنك يا حاجة أنتى تعبانة؟
- أوى أوى..أوى.. العدلة اللى تبان ست العاقلين

- مين؟
- ست نغم
- مالها عملت إيه؟
- طلعت ترللى... عندها شعرة.. آه بقى لو حاجة لزتها يا داهية دقى
- والله ما فاهم حاجة.
- نعمة إنك مش فاهم... بس هفهمك ما أنا مش هسكت ويجرى ليا حاجة... عارف امبارح التعب اللى جه للهانم.
- آه.. والبنت أطمنا عليها وبقت زى الفل
- بلا فل وبلا ياسمين... دى طلعت حالة بتجليها كل ما تسمع خبر موت حد كات تعرفه ولو من بعيد لبعيد.
- يا سلام.. وعرفتى منين السر الخطير ده؟
- أنت بتتريق.. من عظيمة
- مين عظيمة دى كمان؟
- صاحبة فريال.. قابلتنى فى العزا.. وهى الله يباركلها اللى نورتنى وأنقذتنى أنا وابنى
- وأنتى اى حد يقولك حاجة تصدقيها
- وهى تكدب ليه؟

- أنا مقولتش بتكدب بس برضة مش أكيد صادقة... لازم نتأكد الأول
- وأنا لسة هسأل وأبحث
- إيه بتعملى إيه؟
- هتشوف دلوقتى.
- ألو؟
- أيوة أزيك يا طنط.. عاملة إيه؟
- زى الزفت.
- هو فيه حاجة؟ حاساكى زعلانة منى
- بصى يا بنتى أنا لا ليا فى اللف ولا الدوران اللى أنتى طبعاً رضعاهم
- أنا مش فاهمة.. وضحى لو سمحتى
- أنتى ليه مقولتيش لأمجد عالحالة اللى عندك.. خبيتى ليه؟.. وأتاريكى لبسة توب الملاك ما طبعاً عاوزة تدبسيه.
- ألو ألو.. مبترديش ليه..خرستى ليه.. ألو ألو
- إيه اللى هببتيه دا يا زينب.. طول عمرك متسرعة وصوتك من دماغك.. مفكرتيش رد فعل أمجد هيكون إيه من تصرفك.

- وهو يقدر ينطق. دا أنا بنجيه.. حقه يشكرنى
- مكنتش فاكرك بالقسوة دى.. دأنتى حتى مستنتيش تتأكدى
- كان لازم أفاجأها فتقر.. مش تأخد فرصة تفكر وتبلفنا زى ما بتعمل من يوم ما عرفتنا
- أمجد بيحبها وهيخرب الدنيا لما يعرف باللى حصل

أخيراً وصل أمجد، أنطلقت نحوه تطلعه على سر حبيبته، تملى عليه ما يتجوب عليه فعله مع تلك المخادعة.

- أمجد يا ابنى.. هى خبت عليك.. بس أنا متأكد إنه مش علشان تغشك.. دا علشان بتحبك
- أوعى تسمعله.. ساعة ما تجيلها الحالة وأنت فى وسط الناس.. فضيحتك مش هيلمها كلام الرويات دا بتاع أبوك.. وحتى يا حبيبى لو سيبتك مالناس.. أنت مش هيبقى معاك عيال منها.. ترضى بقى يشوفوا أمهم كل ما ينادى المنادى يقول فلان مات تفرفر وترهقهم.. دا غير مصاريف العلاج.. دا إذا كان ينفع اصلاً.
- فيه علاج يا زينب فيه.. أرحمى اللى فى الأرض يرحمك اللى فى السماء

- أرحمنى أنت ومتجبليش جلطة.. عاوزنى اسألك امجد فين.. تقولى فى الخانكة عندهم جلسة
- أهدى يا أمى.. أهدى
- يعنى هتعمل إيه؟
- كل خير بس أهدى

هاتفها أمجد، بكت وهى تروى له تفاصيل مرضها، تماماً كما قال والده أخفته عنه حباً لا غشاً، فمن يتفهم أن النفس قد تمرض كالجسد، مجرد نوع من الفوبيا قد تحرمها من أن تعيش بشكل طبيعى، أنهى المكالمة دون قرار، بات ليلته فى صراع بين مشاعره وقناعته بصحة رأى والدته، تردد فى الذهاب للعمل.. ولكنه ذهب.

بدت له مختلفة هذا الصباح، ربما نظرة الإنكسار والخوف المشوب بقليل من الأمل، أقترب من مكتبها، تركها وذهب.. ألتقطتها فى هدوء وما لبثت أن عاودت عملها، فربما كان تلقى نبأ وفاتها أهون بكثير من تلقى نبأ احدهم.

الفهرس

- أصلان وصورة .. 9
- أكثر من وعاء.. 21
- أكذب حتى إشعار آخر.. 33
- الجنة الخاوية.. 43
- الحكم قبل المداولة.. 51
- أنف قذر.. 59
- جلب الحبيب.. 67
- حالمة بأكثر مما ينبغى.. 73
- حبر على ورق.. 81
- دستور سبع نجوم.. 93
- دوبلير.. 107
- ربما حان الوقت.. 115
- زوجة ترانزيت.. 125
- سبقها إليه.. 135
- شركاء العرش.. 149
- عالية بدون نقطة.. 159

- غنيمة فرد.. 169
- قضية كتف ماجدة.. 183
- لا يزال فى حوزته.. 195
- لعبة المطار.. 209
- مستصغر الشرر.. 221
- نشوة البداية.. 237
- وعد ومنكوث.. 249
- ولأنه أكرم بكثير.. 259
- ونادى المنادى.. 265